الإبدال اللغوي

أو

الاشتقاق الكبير

إن الإبدال والقلب اللغويين هما ظاهرتان لغويتان من ظواهر التطور الصوتي، وبحثان من أبحاث علم الأصوات اللغوية: Phonétique[1] الذي ألف فيه علماء الغرب كتباً جليلة، وأنشؤوا له معاهد ومخابر علمية خاصة؛ ولم يقصّر من سلفنا الصالح للحياة فقهاء اللغة العربية، فقد عرفوا كثيراً من أصوله وأسراره، وفيما اشتملت عليه حوايا كتب اللغة والاشتقاق والصرف والتجويد كثير من مبادئ علم الأصوات اللغوية منثورة ومنشورة فيها، ومن تلك المبادئ والأسرار اللغوية بحث (الإبدال اللغوي) الذي سموه: الاشتقاق الكبير، كما سموا بحث الصرف بالاشتقاق الصغير، والقلب اللغوي بالاشتقاق الأكبر، وكان العكس من الإنصاف وصدق التعبير: بأن ينعت الإبدال اللغوي لخطورته بالاشتقاق الأكبر، والقلب اللغوي بالكبير.

كتب الإبدال ومؤلفوها. — وجمع علماء العربية مثل الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء ومن أخذ عنهما كثيراً من ألفاظ لغتنا التي جاؤوا بها من البدو وتسقطوها من أفواه الأعراب وصنفوها في رسائل خاصة، وبينها كثير من ألفاظ الإبدال؛ والخليل أول من اعتمد على ما جمع من ألفاظ اللغة، وصنف

---

(١) ويقال له أيضاً Phonologie.

في العربية كتاب العين المشهور ، فكان قدوةً لمن تبعه من أصحاب المعاجم وكتب اللغة والنوادر والقلب والإبدال ، ومن كتب الإبدال المعروفة : إبدال أبي سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعيّ ، وأبي يوسف يعقوب بن السكيت الذي أخذ عنه أبو عمر الزاهد صاحب اليواقيت والمعروف بغلام ثعلب ، وعن أبي عمر هذا أخذ أبو الطيب اللغويّ عبد الواحد بن علي الحلبيّ صاحب الإبدال الذي ينشره اليوم مجمعنا العلمي العربيّ ، فقد جمع في إبداله ألفاظ من سبقه في جمع ألفاظ الإبدال ، وزاد عليهم كثيراً من النظائر المتعاقبة ؛ ومن كتب النوادر التي اشتملت على هذه النظائر : نوادر الأصمعيّ وأبي زيد الأنصاريّ وابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ وأبي مِسْحَل عبد الوهاب بن حريش[1] وغيرها من نوادر اللغة ، وينقل لنا أبو الطيب اللغويّ في إبداله كثيراً من ألفاظ الإبدال عن اللحيانيّ وأبي عبيدة والجرميّ وقطرب والفرّاء واليزيديّ ، وأبي مالك عمرو بن كركرة ، وكراع والأمويّ وغيره ، وفي حواشيه كثير من هذه الألفاظ بخط شيخ صاحب اللسان الراوية الحافظ رضيّ الدين الشاطبي ، وبعض هذه الألفاظ من حواشي الإمام ابن برّي ؛

وهنالك أقوال في الإبدال ، وأبواب معقودة للنوادر في آخر كتاب الجمهرة لابن دُريد ، وفي الغريب المصنف لأبي عُبيد ، وفي أمالي القالي أبواب لأنواع من الإبدال اللغويّ ، وفي شرح شواهد الشافية للبغدادي كثير من ضروبه ، كما أنه في الجزء الأول من الخصائص ، وفي ابن جني على تصريف المازني كلام مفيد في الإعلال والقلب والإبدال ، وفي الجزء الأول من المزهر للسيوطيّ أقوال منتقاةٌ من الجمهرة ، وشرح الفصيح للبطليوسي ، ومن أمالي ثعلب وديوان الأدب للفارابي وصحاح الجوهري وشرح التسهيل لأبي حيان .

(١) وقد ظفر الدكتور عزة حسن امين المخطوطات الظاهرية بنسخة جليلة نادرة منه في الآستانة وسينشرها مجمعنا العلمي قريباً .

ومن بحث وألف من المتأخرين والمعاصرين احمد بن فارس عصره صاحب سر الليال في القلب والإبدال ، وللاستاذ عبد الله أمين في كتابه الاشتقاق أبحاث لغوية ممتعة في الابدال ومسوّغاته (١) ، ولشيخنا الطاهر الجزائري في كتابه التقريب لأصول التعريب مباحث عن الإبدال واللثغات ، وقد تكون هذه اللثغات من أسباب الإبدال ، أو تشويه الأصوات اللغويّة ، فقد جاء في بغية الوعاة للسيوطي (٩٧) أن الركن محمد بن محمد التونسي المعروف بابن القَوْبَع النحوي كان يلثغ بالراء همزة ، ونعلم أن واصل بن عطاء كان يلثغ بالراء أيضاً وانه كان يتجنبها لبلاغته في خطبه ، وكان عبيد الله بن محمد النحوي الموصلي يلثغ بالراء غيناً كأهل باريس ، فقال له التارمي : — ضعْ ذبابة القلم تحت لسانك لتدفعه بها ، وأكثِرْ مع ذلك ترديد اللفظ بالراء ، ففعل فاستقام له اخراج الراء في مخرجها ، فهو بذلك يشبه ديموستين خطيب اليونان الشهير الذي كان يروض لسانه بوضع حصاة تحته ويخطب أمواج البحر حتى قوّم ما اعوجّ من لسانه وأصبح يسحر السامعين بحسن بيانه .

وقال أحمد فارس في سر الليال (٧٢) : ومن الغريب أني وجدت الغين منقلبة عن الراء في عدة ألفاظ ، وهي عكس لثغة باريس : فإنهم يقلبون الراء غيناً !

ان التطوّر الصوتي قد يجري مترقياً أو متدنياً (٢) ، وهذه اللثغات بأنواعها من أسباب تشويه الأصوات العربية السويّة وتدنّيها ، فقد يكون جدّ القبيلة ألثغ

(١) ولعميد كلية الشريعة بدمشق صديقنا الاستاذ محمد المبارك كتاب ينشره اليوم في فقه اللغة بحث فيه عن الابدال اللغوي بحثاً صحيحاً ، ويراهما على انه أعم وانفع من القلب واحق منه باسم الاشتقاق الاكبر .

(٢) سنتكلم عن أحوال التبدّل الصوتي في العربيّة ببحث مستقل مفصّل ونكتفي الآن بالإشارة اليه .

فيسمعه أولاده صغاراً فيكتسبون هذه اللثغة من أبيهم ، وقد يتكاثر أولاده وأحفاده ، ويصبحون كجدهم الشيخ شيوخاً أولي قوة وعصبية قبلية متناصرة ، والرعية على دين رعاتها أبداً ، وبذلك تنتشر هذه اللثغة أو العاهة التي فطروا عليها ، وبذلك قد تشوه لغة القبيلة ، ويكون هذا التطور الصوتي البطيء من بواعث التدني الصوتي ، ولأمر ما كان الباريسيون يلثغون بالراء غيناً دون غيرهم من الفرنسيين ، وعرفت لثغتهم باللثغة الباريسية . وقد شعر أطباء اللغة منّا بهذا المرض اللغوي (اللثغ) فحاربوه بقوة وعالجوه بما وضعوه من الكتب أو الرسائل في أصول النطق العربي القويم ، وقد اشتغل عليها علم التجويد : أي تجويد القرآن ، وتحسين النطق به كما ينطق فصحاء العرب .

واللثغ : آفة لسانية يتحول بها اللسان من السين أو الصاد الى الثاء ، أو من الراء الى الغين أو اللام أو الياء ، أو من حرف الى حرف ، وقيل ان لا يتم رفع اللسان في الكلام وفيه ثقل ، والرثغ لغة فيه ، ويقال لهذه التحولات اللثغات منها (الرتة) ، والأرت الذي يجعل اللام ياء ولا تكاد كلمته تخرج من فيه ، و (اللكنة) عجمة في اللسان المطبوع عليها فتظهر في كلام الألكن فيقال فلان يرتضخ لكنة فارسية أو تركية فلا يقوى على إقامة العربية ، ومنها (اللثغ) والألثغ الذي لا يبين حروف الكلام ويرجع كلامه الى الياء ، ومنها (الخنة) وهي ضرب من (الغنة) كأن الكلام يرجع الى الخياشيم ، و (الثعثعة) كلام الذي تغلب على كلامه الثاء والعين ، ومنها الحكلة والعقدة والحبسة وغيرها من عيوب الكلام .

ومن هذه الكتب التي وضعت لتقويم اللسان بإخراج الحروف من مخارجها وبمقاومة اللثغات ومحاولة إصلاحها : كتاب الارتضاء في الضاد والظاء لأبي حيان الأندلسي ، والمراد في كيفية النطق بالضاد : لعيسى بن عبد العزيز اللخمي ،

والكلِ من أحمد بن ابرهيم اللؤلؤي ، ومرجي بن كوثر المقري النحوي كتاب في الضاد والظاء ، ولابن برهان سعيد بن المبارك كتاب الضاد والظاء ، وكتاب الغين والراء ، ولأبي البركات بن الأنباري كتاب زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ، وهنالك كتب أخرى لا مجال لسرد أسمائها ، وذكرنا هذه الكتب على سبيل المثال ، وإن بعض هذه العيوب اللسانية قد ينتقل بالوراثة من الآباء للأبناء كالتأتأة والفأفأة وهنالك أسرٌ في الشام يتوارث التأتأة أبناؤها التمتامون ؟ وقد كثر السنديون في العصر العباسي بالبصرة للعمل فيها فانتشرت لكنتهم ورطاناتهم بين العرب : قال العباسيّ في شواهد التلخيص (٣١/١) : كان أبوعطاء السندي يرتضخ لكنة سندية فيجعل الجيم زايًا ، والشين سينًا ، والطاء والضاد دالاً ، والعين همزةً ، والحاء هاءً فيقول : مرهبا ، هيا كم الله ! ، ولا يزال أهل دير القمر في جنوبيّ لبنان يقولون : دَوّ القمر بدل ضوء القمر ، ولا يدري أحد كيف فسدت ضادهم ، ولا الزمن الذي تمّ فيه هذا الفساد ، وقيل هي لغة ثقيف وهذيل ، وما يدريك أنهم ثقفيون .

والثغة إذا تفشّت في قومٍ وانتقلت من جيل الى جيل ورسخت فيهم أصبحت لهجة أو لغية ، وقد تلتبس على علماء اللغة فلا يدرون ألثغة هي أم لغـة ؟ فقد جاء في المزهر (٥٠٦/١) في باب (معرفة ما ورد بوجهين بحيث اذا قرأه الألثغ لا يعاب) قال السيوطيّ : والأصل في هذا النوع ما ذكره الثعالبيّ في فقه اللغة قال : أنا أستطرف قول الليث عن الخليل : الذعاق كالزعاق سمعنا ذلك من بعضهم وما ندري ألغة أو لثغة ؟ وجاء في الصحاح : اللهس لغة في اللحس أو هَنِةَ (لثغة) ، أقول : فان كانت لثغة أو لكنة فلعلها سندية الأصل ، وقد مرّ بنا أن أبا عطاء السندي كان يقلب الحاء هاء ويقول : مرَهبا !

وقد ينشأ القول بالإبدال كالّلثغ عن التصحيف والّلكنة ، وربما لا يكون إبدالاً ، فقد جاء في القاموس : الشَّقَلَّع كالشَّعَلَّع زنةً ومعنى ، ثم قال المجد : أو

هذه تصحيف ، والصواب الشَّعْلَعُ ، وكثيراً ما يقول علماء اللغة مثل هذا ، وقال محمد بن المكرم في لسانه (دشش) : الدشّ اتخاذ الدشيشة ، وهي لغة في الجشيشة ، قال الأزهري : ليست بلغة ولكنها اللكنة ، فلو أن صاحب التهذيب ألّف في الإبدال لأدخل (الدشيشة والجشيشة) في باب (الجيم والدال) من إبداله ، ولولا الأخذ بالحديث لتحقيق اللغة لما رجع الأزهري عن قوله في الدشيشة (ولكنها اللكنة) ، فقد استشهد بعد ذلك على أنها لغة بقوله : وروي عن أبي الوليد بن طَخفة الغفاري أن النبيّ (ﷺ) قال لخمسة من أصحاب الصفة دعاهم الى منزله : « انطلقوا » ، قال : فانطلقنا الى بيت عائشة ، فقال : ياعائشة أطعمينا ، فجاءت بدشيشة فأكلنا ... » ثم قال الأزهري : فدل هذا الحديث ان الدشيشة لغة في الجشيشة انتهى ؛ وكثيراً مالا يتفق لعلماء اللغة الاطلاع على حديث صحيح يصحح آراءهم في نظائر الإبدال .

الإبدال ونوعاه . — إن الإبدال اللغوي نوعان : الأول (الإبدال النحويّ أو الصرفيّ) وهو الذي يحدث مع حروف البدل الاثني عشر التي يجمعها قولك : (طال يوم أنجدته) فالطاء تبدل من التاء في افتعل اذا كانت بعد الضاد نحو (اضْطَهَد) أصلها (اضتهد) وزان افتعل ، ونحو (اصطبر) ، وبعد الظاء أيضاً في افتعل نحو (اظطلم) من الظلم ، وهكذا سائر حروف البدل الشامل كما لا يخفى .

قال أبو علي القالي في أماليه : (٢ / ١٨٦) : اللغويون يذهبون الى ان جميع ما أمليناه إبدال — أي كَدّ ومَتّ وقدّ وقطّ ، وقضم وكدم — وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو ، وانما حروف الإبدال عندهم اثنا عشر حرفاً [1] :

(١) وابن سيده في مخصصه (١٣ / ٢٦٧) يجعلها ثلاثة عشر : ثمانية من حروف الزيادة التي يجمعها قولك (اليوم تنساه) تسقط السين واللام من الحروف العشرة ، وخمسة من غيرهن ...

تسعة من حروف الزوائد ، وثلاثة من غيرها ، وأما حروف البدل فيجمعها قولنا : (طال يوم أنجدته) ، وهذا أنا عملته .

تعريف الإبدال اللغويّ . — والنوع الثاني ، وهو موضوع بحثنا اللغويّ ، ويُراد به « إقامة حرف مقامَ حرف مع إبقاء سائر أحرف الكلمة » فتشترك الكلمتان بحرفين أو أكثر ، ويبدل حرف منها بحرف آخر يقاربه مخرجاً أو صفةً نحو (قضب وقضم ، وقطع وقطم ، وقصب وقصف) مثلاً ، فقد اشترك الزوج الأول (قضب وقضم) بحرفين منها وهما القاف والضاد ، واختلفا بالباء والميم ، وقد ابدل أحدهما من الآخر ، وهما من مخرج واحد ، أي حرفان شفويّان .

ثمّ إنّ حرف الابدال الثالث في الكلمات الثلاثية قد يكون فاء الفعل أو عينه أو لامه فمثاله وهو فاء الفعل (خبن وغبن) ، وعين الفعل (رمم ورشم) ، ولام الفعل (قضب وقضم) .

وقد تكون الكلمتان رباعيتين (كَتَوْأَبَج وَدَوْأَبَج) ، والبدل في الحرف الأول منها ، والأحرف الثلاثة الأخرى باقية على حالها ؛ أو خماسيتين والبدل في الحرف الثاني مثلاً نحو (جِرسام وجِلسام) الذي تسميه العامة البِرسام ، ومثال الفعلين السداسيين : (اعرنكس الليل واعلنكس) اذا أظلم ، ومثال الاسمين السداسيين : جُرُبّان السيف وجلُبّانه : قرابه ؛

وقد يكون هذا الإبدال أو التعاقب بين الحروف المتقاربة في المخارج والصفات أو في احدهما ناشئاً عن تطوّر صوتي في مراحل متوالية وأزمنة متعاقبة لأسباب لا يُبتّ في معرفتها ، وقد يكون التبادل الحرفيّ غيرَ متعمّد ، وسببه اختلاف القبائل المتكلمة بها ، قال أبو الطيب اللغويّ في مقدمة كتابه الإبدال المشار اليه : ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف ، وانما

(١) المزهر (مسط عيسى البابي الحلبي) ١ / ٤٦٠ .

في لغات مختلفة لمعان متفقة : تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنىً واحد ، حتى لا يختلفا إلاّ في حرف واحد ؛ قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرةً وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدَّرة عيناً كقولهم في نحو أنْ (عَنْ) ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون ؛

ولم يقتصر الإبدال على الشعر والنثر من كلام العرب فقد جاء في القرآن المبين والحديث أيضاً ، مما يدل على تمكنه من اللغة العربية ووقوعه في جميع طبقات البيان ، قال احمد بن فارس في فقه اللغة : من سنن العرب ابدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض : مدحه ومدهه ، وفرس رفلّ ورفنّ ، وهو كثير مشهور قد ألَّف فيه العلماء ، فأما قوله تعالى : « فانفلق فكان كل فِرْقٍ كالطود » فاللام والراء متعاقبتان ، كما تقول العرب : فَلَق الصبح وفرَقه ؛ وذُكر عن الخليل ولم أسمعه سماعاً أنه قال في قوله تعالى : « فجاسوا خلال الديار » إنما أراد : فحاسوا ، فقامت الجيم مقام الحاء .

ومن فوائد الإبدال : أن معرفته قد تدفع الاتهام بالتصحيف ، وقد وقع ذلك لكثير من أئمة اللغة ، وبفضل اطلاعهم على أسرار الإبدال أحسنوا الدفاع عن أنفسهم ، فقد جاء في اللسان (عدف)(1) : قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : ما ذقت عدوفاً ولا عَدوفة ، قال : وكنت عند يزيد بن مزيد الشيباني فأنشدته بيت قيس بن زهير :

ومجنَّباتٍ ما يَذقنَ عَدوفةً يقذفن بالمُهَرات والأمهار

بالدال ، فقال لي يزيد : صحَّفتَ يا أبا عمرو ، إنما هي عذوفة بالذال ،

(1) وانظر ابدال ابن السكيت ص ٥٤ ، قال صاحب اللسان : وهذا البيت في التهذيب منسوب الى قيس بن زهير كما أوردته ، وقد استشهد به ابن برّي في أماليه ، ونسبه الى الربيع بن زياد .

قال فقلت له : لم أصحِّف أنا ولا أنت ، تقول ربيعة هذا الحرف بالذال ، وسائر العرب بالدال .

ومن فوائد الإبدال اللغوية أو الاشتقاق الكبير أنه قد ينتفع به في وضع المصطلحات العلمية ، وذلك بتخصيص اللفظتين المتعاقبتين لمسميين متشابهين في العمل ، وبينهما علاقة معنوية . مثال ذلك ما جاء في لسان العرب (ارث) قال : والأُرَث والأُرف : الحدود بين الأرَضين ، واحدتها : أُرثة وأُرفة ، فيجوز أن نضع (الأُرثة) لكلمة Borne أي المنار بين الأرضين المتجاورتين دفعاً للنزاع بين الجارين ، و (الأُرفة) للحد بين البلدتين أو الدولتين ، وبلدة (أرفة) اليوم وهي الرُّها قديماً ، واقعة بين إقليمنا الشامي وتركية مثلاً ؛ قال ابن سيده : وأرَّثَ الأرَضين : جعل بينها أُرثة ، وقد وضع المعجم الزراعي لصديقنا ورئيس مجمعنا الأمير الشهابي كلمة (التأريث) مقابل Abornage بالفرنسية ، ويراد بها وضع المنار بين الأرضين ، وجعل (التأريف) لما يقابل Cadastre ، وفي طبيعة لغتنا العربية لجواهر مناجم تحتاج اليها المعاجم أبداً .

وجاء في كتاب الاشتقاق [١] لعبد الله أمين (ص ٣٧٠) بعد أن بحث عن الإبدال ، وضرب مثالاً لما يمكن أن ينتفع به في اشتقاق اسمين لمسميين متشابهين في الشكل والعمل أو في أحدهما بقوله :

مثال ذلك : الغُمْنة والغُمرة ، وهما لَبَن تطلي به المرأة وجهها ويديها حتى تَرِقَّ بَشَرتها . يمكن أن يسمى المسحوق الذي يُطلى به السيدات وجوههن وأيديهن (غُمرة) [٢] ، والمعجون الذي يستعمل استعماله : (غُمْنة) بإبدال النون من الراء لتقاربهما مخرجاً وصفةً ، انتهى . عز الدين التنوخي

---

(١) من أمتع ما وضع في الاشتقاق ، وهو غير الصرف والنحو ، لأنه يبحث عن أصول الكلمات وفروعها وصوغ بعضها من بعض ، وفيه بحث عن الابدال والقلب .

(٢) واليوم تسمى (بودرة) من Poudre ، والمعجون (كريمة) من Crème الفرنسية وهي القشدة .

العربية بين الفصحى والعامية
وكتاب رد العامي الى الفصيح

كان شيخنا وزميلنا في المجمع العلمي العربي : الاستاذ أحمد رضا قد وضع قبيل انتقاله الى رحمة الله ـ كتابه «رد العامي الى الفصيح» وهو كتاب قيم مفيد خدم به العربية خدمة جليلة ، وُفّق فيها توفيقاً مشكوراً .

وسبقت لنا كلمة في هذا الكتاب ، رأيت أن أنقل بعضها ، وأضيف اليها مالا بد منه ، مما يتصل بموضوعنا ، نزولاً عند رغبة من لا أرى لي مندوحة عن اجابة طلبه .

وخليق بمن يهتمون بهذه العربية ، ويغارون عليها ، أن يدافعوا عنها في كل مناسبة تعرض ، بعد أن استشرى داء بعض المستشرقين الاستعماريين في العمل على افساد لغتنا ، بالدعوة الى العامية ، وتفضيلها على الفصحى ، تمزيقاً للوحدتين : القومية واللغوية ، وبعد أن كثر بين العرب من ينزعون نزعتهم ، عن سوء نية ، أو سلامة طوية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد عدّدوا الأبواب التي يريدون أن يدخلوا منها الى حرم العربية فيدنسوا مقدساتها ويفسدوا أوضاعها ، ويغيروا أشكالها ، فاذا سُدّ عليهم باب ، وأعيتهم فيه حيلة ، عمدوا الى باب آخر لعلهم يجدون فيه الثغرة التي أعوزتهم في محاولتهم تلك . ومن المؤلم : أن عدد هؤلاء المداهنين يزداد يوماً بعد يوم ، ويقبل الناس على الاستماع اليهم ، ومن يدري اذا تمادى بهم الأمر وظل رجال العربية ساكتين عنهم ـ سواء أكان سكوت ازدراء أو اعراض ـ

أن يبلغوا في يوم من الأيام ما يريدون أو بعضه [١] ، ومتى وجد الخرق فمن يضمن أن لا يتسع على الراقع .

ومن غرائب هذه المحاولات في الفترة الأخيرة ، قيام فئة تريد - على زعمها - اصلاح الاملاء العربي . كأن هذا الإملاء السهل الواضح الصريح ، المبني على أسس راسخة ، وقواعد ثابتة ، يحتاج الى من يصلحه ، وأوجع ما كان من هذا ، أن نقرأ عن يوثق بعربيتهم وبعروبتهم ، لا يتهمون بعجز في اللغة ، وهم من أقطابها ، ولا تطالهم تهمة في غيرتهم على العربية واخلاصهم لها ، قد ذهبوا في مؤتمر المجامع اللغوية العربية الذي عقد في دمشق هذا المذهب ، وقالوا بهذا التجديد الهدام ، وهو شيء يحار الانسان في فهمه ، ولا يعرف كيف يفسره ، ولا على أي محمل يحمله ، واذا كانت العربية يطعنها أعرف الناس بأسرارها ، ومن كان عليه أن يكون من أشد القوم حفاظاً على آثارها ، فما ظنك بالجاهلين والهدامين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه اللغة التي تلفظ حروفها كما تكتب ، لا يتبدل النطق بها أين وقعت وكيف وقعت ، وللهمزة التي يجعلها العاجزون حجة على الصعوبة ، قواعد معروفة ، وصورة حية ماثلة ، وللنائين المبسوطة والمعقودة ، وللألف المقصورة والممدودة ، قاعدة معروفة أيضاً لا تختلف ولا تتغير . يسهل حفظها ، والجري عليها . على من شدا شيئاً من العربية ، أو حفظ القليل من قواعدها .

وهؤلاء الذين لا يرضيهم هذا الإملاء العربي الواضح ، راضون عن الإملاء في اللغات الأجنبية التي يعرفونها ، رضاء أبناء هذه اللغات نفسهم عنه ، على ما في هذا الإملاء من شذوذ في حروفه وفي تراكيبها . يختلف لفظ

---

(١) كثرت في الفترة الأخيرة الكتابة باللغة العامية والخطابة بها ، وهبط الشعر الى دركة ساوى فيها الزجل بل انحط عنه .

الحرف الواحد باختلاف موقعه ، فينتقل الحرف من لفظ الى لفظ آخر لا نسبة بينهما ، وتلفظ الحرف عندهم ولا تكتبه ، وتكتب حرفاً والأحرف ولا تلفظها . وعلى الجملة فالإملاء في لغاتهم وهو ما فصلنا بعضه ، في الكلمة التي ألقيناها في مؤتمر المجامع اللغوية - شذوذ في شذوذ ، وقد شرفت العربية عنه ، وعافاها الله وعافانا منه .

رضوا بهذا الإملاء الذي يسميه أحد علمائهم[1] Chinoiserie ولم يرضوا لنا ولا رضي بعضنا بهذا الإملاء العربي بصيغته السهلة ، وقواعده البينة .

على أن من الغرائب المؤلمة هذه الحمية المعيبة ، التي نحن عليها ، وهذا الاستسلام المخزي الذي استسلمه - غير مفكرين ولا مدافعين - كلما انتقد العربية منتقد منا ، أو من غيرنا .

جرى بعض المدرسين - فترة من الزمن - على لفظ بعض الحروف العربية لفظاً أجنبياً ، وهي طريقة لا وجه لها ، ولا يستقيم لها اتساق . ورأى آخرون ان تلفظ الحروف العربية لفظاً صوتياً ، وهو أسلوب قد يكون مفيداً ، ولا اعتراض لنا عليه ، فالمدرسون القائمون على عملهم أدرى منا بما هو الأوفق والأسهل .

ولكن اعتراضنا على الانتقاد الذي زعموه سبباً لهذا التبديل في التلفظ . يقولون لك :

من شذوذ العربية ! . . . . . ان حروفها لا انسجام بينها مفردة ومركبة . وهو ما لا مثيل له في سائر اللغات . فاذا قلت (عين) أو (سين) أو (قاف) أو (كاف) ومثلهن كثير فكيف توفق بين حرف من هذه الأحرف في

---

(١) قالها أحد علماء الفرنسيين ، والافرنسية أكثر لغات الغرب تثقيفاً وتهذيباً ، فما عسى ان يقال في غيرها و « Chinoiserie » من معانيها اللباس الغريب المرتبك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حالة الإفراد ، وبينه وبين لفظه في حالة التركيب ؟ فاذا قلت : عالم مثـلاً أو سالم فأين ذهبت الياء والنون ؟ . . . . . وأين ذهبت (الألف) و (الفاء) و (القاف) و (الكاف) في (قائل) و (كافل) وأمثالها ؟

ولسنا هنا في بيان السبب الذي من أجله سمّي كل حرف باسمه الذي أطلق عليه ، ولا نحن بالذين يزعمون أن العربية بحروفها وألفاظهـا ، وُضعت أول ما وُضعت وضعاً علمياً من سائر وجوهها ووجوهه ، ولا بالمعترضين على الحروف تلفظ لفظاً صوتياً .

ولكنا نقول : ان العربية لم تشذ في هذا عن سائر اللغات التي جاءت بعدها ، ولا انفردت به . فما يجوز أن يؤخذ على العربية ، يجب أن يؤخذ على الحروف في جميع اللغات ، فهي في حال تركيبها تخالف ما كانت عليه في حالة افرادها فتسقط من الحرف مركباً مثل ما أسقط منه في العربية بل ما يزيد[1] .

ونخلص بعد هذا الى ما يجب على العرب من صيانة لغتهم والحفاظ عليها ، وتسفيه الاعتراضات التي يوردها بعضهم تعصباً أو جهلاً . وأول هذه الواجبات وأولاها بالعناية ، نشر العربية الفصحى واستعمالها استعمالاً صحيحاً في المجالس العلمية والرسمية ، وفي المؤتمرات ، وفي حلقات الأدباء والمتأدبين ومناقشاتهم .

فالعرب لن تستقيم لهم لغتهم ما دامت لغتين مختلفتين : لغة عامية ، ولغة فصيحة . وهذا ما يجعل العرب يعانون في تعلم لغتهم وفي ضبط ألفاظها ما يقرب مما يعانون في تعلم لغة غريبة عنهم[1] . فالحاجة الى تقريب مسافة الخلف بين اللغتين ، حاجة ملحة ولا سيما في زماننا هذا الذي صار فيه العالم وكأنه وطن واحد ،

(١) خذ مثلاً (Z) و (Y) وغيرهما . فهل تستطيع ان تحتفظ لهـا مركبة بصيغتها مفردة ؟

(٢) من كلمتنا في هذا الموضوع نشرتها العرفان سنة ١٩٥٢ .

اذا أصيب منه قطر فكأنما أصيبت أقطاره جميعاً في تجاراتها واقتصادياتها وسائر مرافقها . فكيف بالأقطار العربية !

ومن وسائل هذا التقريب ، النظر في الكلمات العامية ، وتصحيحها ، ورد ما فيها من خطأ الى الفصيح . وقد عالج هذا الموضوع جمهرة من علماء العربية من المتقدمين والمتأخرين ، ولعل أول من كتب في هذا من المتأخرين وجعله كتاباً برأسه ، الشيخ خليل اليازجي ، ولست أعرف أطبع كتابه أم بقي مخطوطاً ، والأستاذ رشيد عطيه في كتابه الدليل في العامي والدخيل[1] وقد طبعه ، والأستاذ عيسى المعلوف ، وما كتبه نشر بعضه في مجلته (الآثار) وسائره لا يزال مخطوطاً ، والأمير شكيب أرسلان وكتابه موسوم بـ «القول الفصل في رد العامي في الأصل» وهو مخطوط لم يطبع بعد[2] . ثم كتاب الشيخ احمد رضا «رد العامي الى الفصيح» وهو الكتاب الذي نحن في بحثه الآن .

وهذا الكتاب تُظهِر بحوثُه ما كابده صاحبه من مشقة ، وما اقتضاه من عنت ومراجعة وصبر وأناة .

رتب المؤلف كتابه على الحروف المعجائية ، ولنا أن نقسم بحوثه ثلاثة أقسام :

١ — الكلمات التي تكثر العامة من استعمالها ، حتى يخيل الى بعض الخاصة انها عامية ، وليست كذلك . حدد ذكر مصادرها ، واستشهد على صحتها بشواهد من كلام العرب الأقدمين .

٢ — الكلمات الصحيحة في الأصل وحرفتها العامة . فهذه ردها الى أصلها الصحيح .

٣ — ما ليس بصحيح ولا بعربي ، وجاء له بما هو في معناه مما استعملته العرب .

(١) هذا اسمه فيما اذكر ولعلي على خطأ .

(٢) نشر المجمع العلمي كتاب (بحر العوّام فيما اصاب فيه العوام) لابن الحنبلي الحلبي المتوفى سنة ٩٧١ هـ بتحقيق التنوخي . « لجنة المجلة »

ومثل هذا الجهد الذي عاناه المؤلف لا يجوز أن يمر به مروراً عابرا ، كلمة ثناء مجلة وينتهي الأمر . بل يستحق دراسة دقيقة تقديراً لعمل أستاذنا الجليل .

هذا ما حملنا على مراجعته في بعض ألفاظ رأينا فيها غير رأيه ، قد يكون مردُّ أكثرها الى اختلاف اللهجات العاميـة ، في مختلف الأقطار العربية . بل الى اختلافها حتى في القطر الواحد . كان هذا ، على أن نتابع الملاحظات شيئاً فشيئا . غير أن الموت عاجله رحمه الله ، قبل أن يبدي رأيه ، في ما أبدينا رأينا فيه ، وها نحن أولاء نعيد بحثنا ، ونتابعه من حيث وقفنا . فقد يكون بين المشتغلين في هذه الموضوعات من يرى رأينا ، أو يصحح ما وهمنا فيه .

فمن هذه الكلمات التي ترددنا فيها :

تمألس : قال المؤلف : «ويقولون تمألسه وتمألس به ، اذا سخر به وهزأ . فكأنه ينزله منزلة المألوس وهو المجنون . وفي اللغة : ألس ألساً : الرجل فهو مألوس . اذا اختلط وذهب عقله . والالاس الجنون . وتمألسه هذه بمعنى جعله كالمألوس . فعبث به وسخر منه كما يعبثون بالمجنون ، والميم زائدة لأنها صيغت من المألوس على توهم الاصالة» اهـ الصفحة الـ ٨ .

المقلسة : وقال في الصفحة الـ ٣٨٥ : «وقالوا تمقلس عليه ، اذا سخر منه ، أو تنادر معه منادرة فيها سخرية . وهو من (ألقسه) يلقسه لقساً اذا عابه وشتمه ، واذا سخر منه أو لقبه باللقب الردي. . أو هي تمألس بالهمزة راجع ا ل ـ س . اهـ» .

قلنا : هذا التردد في رد الكلمة الى أصل فصيح ، وهذا التخريج ـ الذي فيه ، في رأينا ـ شيء من التكلف يحملنا على التفتيش لها عن أصل آخر .

والذي نراه أن «المقلسة» هي بالقاف لا بالهمزة ، على ما تلفظها الى اليوم

عامة بني معروف ، ومن يجاورهم من أهل الشوف ، وعلى ما جاءت أخيراً في الصفحة الـ ٣٨٥ من الكتاب .

وفي لسان العرب « التقليس : ضرب اليدين على الصدر خضوعاً ... » و « الانحناء ... » وهو ما يفعله المستهزئون بمن يستهزئون بهم . أفلا يكون رد تقلس الى قلس اقرب منه الى « ألس » أو « لقس » ؟

أطم : ومن هذه البابة (اطم) بمعنى قطع ردها المؤلف الى (اتم) وقال : « وفي اللغة : أتم الشيء قطعه ... » قلنا : وقد تكون (قطم) بالقاف ، أقرب ، وقد ذكرها الأستاذ ، ومرّ بها وكأنها لم ترضه .

فأى : قال : (فأى الدملة والقرحة) اذا شقها ، فانفأت . وهو من قول العرب فأى رأسه : اذا فلقه بالسيف ، أو بالعصا ، ونحوهما ، نقله الجوهري عن أبي زيد .

وفي اللسان : قال الليث : فأوت رأسه فأواً وفأيته فأياً اذا فلقته بالسيف . وقيل هو ضربك قحفه حتى ينفرج عنه الدماغ ، والانفياء الانفراج ..

قلنا : أقرب من هذا ، وأقل سنداً في التخريج ، أن ترد (فأى) الى (فقأ) . وفي اللسان : فقأ العين ، والبثرة ونحوهما ، يفقؤهما فقأ .. قلعها وبخقها[1] ...

وفي الحديث : لو ان رجلاً اطلع في بيت قوم بغير اذنهم ففقؤوا عينه لم يكن عليهم شيء .. وكانت العرب في الجاهلية ، اذا بلغ ابل الرجل منهم ألفاً ، فقأ عين بعير منها وسرحه حتى لا ينتفع به .

والعامة في بني معروف الى اليوم تستعمل هذه اللفظة على وجهها الصحيح . فتقول (فقأ) الدملة والعين ونحوهما . غير أنها تستعملها مسهلة بلا همزة[2] .

---

(١) البخق (بالتحريك) اقبح ما يكون العور .

(٢) كما تستعمل (فور) وهي صحيحة ، و (فقر) ولها وجه . يقال فقر الخرز اي ثقبه - وحزه - واثّر فيه . ومن هنا اخذت العامة قولها (فقر عينه) .

دوبل : ويرى الأستاذ ان (دوبل) بمعنى أطرق برأسه الى الأرض ، أخذته العامة من الدوبل وهو الخنزير . لأنه من عادة الخنزير أن يكون مطأطئ الرأس .

قلنا : لعل الأقرب أن تكون (دوبل) من (ذبل) بالدال المنقوطة . وفي اللسان : ذبل النبات والغصن والانسان ، يذبل ذُبولاً دق بعد الري ، فهو ذابل ، أي ذوي . وكذلك (ذبل) ... وأذبله الحر ...

والعامة عندنا تقول (ذبلان) و (مذوبل) اذا أطرق لتعب أو علة أو خجلاً وانكساراً

عارف النكدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثقافة الأطباء عند العرب

-٣-

« وتعهدت المرضى ، فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف . وأنا مع ذلك أختلف الى الفقه وأناظر فيه . وأنا في هذا الوقت من أبناء (ست عشرة سنة) ، ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفا ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة ، وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت في النهار بغيره ، وجمعت بين يدي ظهوراً . فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ، ورتبتها في تلك الظهور ، ثم نظرت فيما عساها تنتج وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة ، وكلما كنت أتحير في مسألة ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت الى الجامع وصليت وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المنغلق وتيسر المتعسر ، وكنت أرجع بالليل الى داري وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ، ثم أرجع الى القراءة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام ، وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني ، وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزدد فيه الى اليوم حتى أحكمت علم المنطق ، والطبيعي ، والرياضي ، ثم عدلت الى الالهي وقرأت كتاب « ما بعد الطبيعة » فما كنت أفهم ما فيه والتبس علي غرض

واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً ، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسي وقلت هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . وإذ أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين وبيد دلاّل مجلد ينادي عليه فعرضه علي فرددته ردّ متبرم معتقداً أن لا فائدة في هذا العلم . فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج الى ثمنه ، فاشتريته فاذا هو كتاب «لأبي نصر الفارابي» في أغراض كتاب «ما بعد الطبيعة» ورجعت الى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظاً على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى . وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور واتفق له مرض حار فيه الأطباء ، وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة فأجروا ذكري بين يديه وسألوه إحضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته ، وتوسمت بخدمته . فسألته يوماً الإذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب ، فأذن لي ، فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد ، وطالعت فهرست كتب الأوائل ، وطلبت ما احتجت اليه ، ورأيت من الكتب ما لا يقع اسمه الى كثير من الناس قط ، ولا رأيته قط ولا رأيته من بعد ، فقرأت تلك الكتب ، وظهرت فوائدها وعرفت مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها ، وكنت اذ ذاك للعلم أحفظ ولكنه اليوم معي أنضج والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جواري رجل يقال له أبو الحسن العروضي فسألني أن أؤلف له كتاباً جامعاً في هذا العلم فصنفت له المجموع

وسميته به ، وأتيت به على سائر العلوم سوى الرياضي ولي إذ ذاك احدى وعشرون سنة من عمري ، وكان في جواري أيضاً رجل يقال له أبو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس توحد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل الى هذه العلوم . فسألني شرح الكتب فصنفت له كتاب « الحاصل والمحصول » في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الأخلاق كتاب سميته كتاب « البر والإثم » وهذان الكتابان لا يوجدان إلا عنده فلم يعرفها أحد ينتسخ منهما . ثم مات والدي وتصرفت بي الأحوال وتقلدت شيئاً من أعمال السلطان ودعتني الضرورة الى الارتحال عن « بخارى » والانتقال الى « كركانج » وكان أبو الحسين السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيراً وقدمت الى الأمير بها وهو علي بن المأمون وكنت على زي الفقهاء إذ ذاك بطيلسان وتحت الحنك وأثبتوا لي مشاهرة دارة تقوم بكفاية مثلي . ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى « نسا » (١) ومنها الى « باورد » (٢) ومنها الى « طوس » (٣) ومنها الى « شقان » (٤) ومنها الى « سمنقان » (٥) ومنها الى « جاجرم » (٦) رأس حد خراسان ومنها الى « جرجان »

---

(١) نسا : أو نسا : كلمة أعجمية معناها الرياح الشمالية وهي مدينة بفارس قريبة من شيراز بأربعة مراحل تابعة لكورة دارابجرد . معجم البلدان ٦ : ٣٧٦ .

(٢) باورد : وهي أبيورد بلد بخراسان .

(٣) طوس : مدينة بخراسان أيضاً بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ وبها قبر هارون الرشيد وعلي بن موسى الرضي (معجم البلدان) .

(٤) شقان : بلدة من نيسابور . ويقال شقان بالكسر لوجود جبل فيها ينشق عنه ماء وجبل آخر ينشق عنه ماء .

(٥) سمنقان : بلدة بالقرب من جاجرم من أعمال نيسابور في بلاد العجم .

(٦) جرجان : مدينة شهيرة بين جراستان وخراسان وكان أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ومنها خرج البرمكي (معجم البلدان) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكل قصدي الأمير قابوس[1] وحبسه في القلاع وموته هناك . ثم مضيت الى « دهستان » ومرضت بها مرضاً صعبا وعدت الى « جرجان » واتصل أبو عبيد الجوزجاني بي وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر واسعي لما غلا ثمني عدمت المشتري »

وفي جرجان صنف كتاب « المبدأ والمعاد » وكتاب « الأرصاد الكلية » وكتباً كثيرة كأول القانون ومختصر المجسطي وكثيراً من الرسائل ، ثم صنف في أرض الجبل بقية كتبه ، ثم انتقل الى الري واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة وكان به مرض تغلب السوداء عليه فاشتغل بمداواته وأقام بها الى أن قصد شمس الدولة بعد قتل هلال بن بدر بن حسنويه وهزيمة عسكر بغداد ، ثم اتفقت أسباب أوجبت الضرورة لها خروجه الى قزوين ومنها الى همذان واتصاله « بكذبانويه » والنظر في أسبابها ، ثم اتفق معرفة شمس الدولة واحضاره مجلسه بسبب قولنج كان قد أصابه وعالجه حتى شفاه الله تعالى وفاز من ذلك المجلس بخلع كثيرة وعاد الى داره بعد ما أقام هنالك أربعين يوماً بلياليها وصار

---

(١) الأمير قابوس : هو أبو الحسن قابوس بن وشمكير بن زياد بن وردان شاه الجيلي الملقب شمس المعالي . أمير جرجان وبلاد الجبل وخراسان ، وليها سنة ٣٦٦ هـ واكتسح عضد الدولة البويهي مملكته سنة ٣٧١ هـ ، واستعادها قابوس سنة ٣٨٨ هـ ، فاشتد في معاقبة من خذلوه في حربه مع عضد الدولة فنفي من شعبه وقامت الثورة فخلعه القواد وولوا ابناً له ورضوا باقامته في احدى القلاع الى أن مات عام ٤٠٣ هـ وهو ديلمي الأصل ، متعرب ، نابغة في الأدب والانشاء ، وله شعر جيد في العربي والفارسي وكتاب يحوي رسائله سمي (كمال البلاغة) مطبوع . عن كتاب الأعلام ٢ : ٧٨٠ .

من ندماء الأمير [1] ، ثم اتفق نهوض الأمير شمس الدولة الى قرمسين لحرب عناز وخرج الشيخ في خدمته ثم توجه نحو همذان منهزماً راجعاً . ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها ، ثم اتفق تشويش العسكر عليه واشفاقهم منه على أنفسهم فكبسوا داره وأخذوه الى الحبس وأغاروا على أسبابه وأخذوا جميع ما يملكه وسألوا الأمير قتله فامتنع منه وعدل الى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتوارى في دار الشيخ أبي سعد بن دخدوك أربعين يوماً فعاود الأمير شمس الدولة القولنج وطلب الشيخ فحضر مجلسه فاعتذر الأمير اليه بكل الاعتذار فاشتغل بمعالجته وأقام عنده مكرماً مبجلاً وأعيدت اليه الوزارة ثانياً ، ثم سأله أبو عبيد الجوزجاني وهو صاحبه ، شرح كتب أرسطوطاليس فذكر أنه لا فراغ له الى ذلك في ذلك الوقت ، ولكن إن رضي منه بتصنيف كتاب يورد فيه ما صح عنده من هذه العلوم فعل بلا مناظرة المخالفين ولا اشتغال بالرد عليهم ، وقد رضي المومى اليه فابتدأ بالطبيعيات من كتاب سماه « الشفاء » وكان قد صنف الكتاب الأول من القانون وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم وكان الجوزجاني يقرأ من الشفاء ويقرئ غيره من القانون نوبة ، فاذا فرغوا حضر

(١) الأمير شمس الدولة : هو أبو طاهر بن فخر الدولة البويهي حاكم حدان وهمذان وكرمانشاه اضطرمت الفتن في أيامه فاستنجد عليها بحاكم أصفهان علاء الدين أو علاء الدولة من بني كاكويه فنجدوه وأخذوا الحكم منه سنة ٤١٥ هـ . وأما الأمير مجد الدولة فهو أبو طالب رستم بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة حسن بن بويه . ثامن ملوكهم . خلف والده عام ٣٨٧ على حكومة العراق وتغلب على خراسان ولما جلس على عرش الحكم كان صبياً فأدارت والدته (سيدة خاتون) الحكم مكانه ولما بلغ أشده تولى هو بذاته الملك وبقي (٣٣) سنة فيه . وفي عام ٤٢٠ حاربه السلطان محمود الغزنوي بالقرب من الري وغلبه وأخذه أسيراً ثم آلت خراسان والعراق الى السبكتكيين . عن قاموس الأعلام – مجلد (٦) .

المغنون على اختلاف طبقاتهم وهيئ مجلس الشراب بآلاته وكانوا يشتغلون به ٠ وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للأمير فقضى على ذلك زمناً ٠

ثم توجه شمس الدولة الى (طارم) (١) لحرب الأمير بها وعاوده القولنج قرب ذلك الموضع واشتد عليه ، وانضاف الى ذلك أمراض أخرى جلبها سوء تدبيره وقلة القبول من الشيخ فخاف عسكره وفاته ورجعوا به طالبين همذان في المهد فتوفي في الطريق في مهد ثم بويع ابن شمس الدولة وطلبوا استيزار الشيخ فأبى عليهم وكاتب علاء الدولة (٢) سراً يطلب خدمته والانضمام الى جوانبه وأقام في دار أبي غالب العطار متواريا وطلب منه صاحبه الجوزجاني اتمام كتاب الشفاء ، فاستحضر أبا غالب وطلب الكاغد والمحبرة فأحضرهما وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع اليه ، بل من حفظه وعن ظهر قلبه ٠ ثم ترك الشيخ تلك الأجزاء بين يديه وأخذ الكاغد فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والإلهيات ما خلا كتابي الحيوان والنبات ،

(١) طارم : أو تارم : كورة واسعة في الجبال بين قزوين وجيلان . فيها قرى كثيرة وجبال وعرة وليس فيها مدينة مشهورة . وفي معجم البلدان انها أيضاً بليدة أخرى في آخر حدود فارس من جهة كرمان . وبين تارم وشيراز ٨٢ فرسخاً ٠ ويقول صاحب (قاموس الأعلام) أن (طارم) هو نهر تابع لتركستان الشرقية يتألف بين كاشغر ويارقند ثم يتصل (بقره صو) متجهاً الى الشرق وبعد أن تنصب عليه أنهر الشمال يشكل بحيرة ومنهـا يجري الى الجنوب الشرقي .

(٢) علاء الدولة : ملك الري عام ٥١٦ هـ وهو ابن فرامز بن علي بن فرامز ، وفي زمانه عاش الخيام والغزالي والنظام .

وابتدأ بالمنطق وكتب منه جزءاً ثم اتهمه تاج الملك [1] بمكاتبه علاء الدولة فأنكر عليه ذلك وحث في طلبه فدل عليه بعض أعدائه فأخذوه وأدوه الى قلعة يقال لها «فردجان» وأنشأ هنالك قصيدة منها :

دخولي في اليقين كما تراه   وكل الشك في أمر الخروج

وبقي فيها أربعة أشهر ثم قصد علاء الدولة همذان وأخذها وانهزم تاج الملك ومرّ الى تلك القلعة بعينها ثم رجع علاء الدولة عن همذان وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة الى همذان وحملوا معهم الشيخ الى همذان ونزل في دار العلوي واشتغل هنالك بتصنيف المنطق من كتاب الشفاء ، وكان قد صنف في القلعة كتاب الهدايات ورسالة حي بن يقظان وكتاب القولنج . وأما الأدوية القلبية فانما صنفها أول وروده الى همذان .

وكان قد تقضى على هذا زمان وتاج الملك في أثناء هذا يمنيه ويعده بمواعيد جميلة ، ثم عنّ للشيخ التوجه الى أصفهان فخرج متنكراً هو وأخوه وصديقه وغلامان معه في زي الصوفية الى أن وصلوا الى طبران على باب أصفهان بعد أن قاسوا شدائد الطريق فاستقبلهم أصدقاء الشيخ وندماء الأمير علاء الدولة وخواصه وحُمل اليه الثياب والمراكب الخاصة وأنزل في محل يقال له (كونكبند) في دار عبد الله بن بابي وفيها من الآلات والفرش ما يحتاج اليه . وحضر مجلس علاء الدولة فصادف في مجلسه الإكرام والإعزاز الذي

---

(١) تاج الملك : ويسمى أبو الغنايم مرزبان بن خسرو فيروز وزير ملكشاه السلجوقي . تولى الوزارة بعد الوزير نظام الملك ، وتعيّن وصياً على ابن ملكشاه الذي كان عمره (٤) سنين ، وفي أثناء تدبيره الملك الشق أصحاب سلطة نظام وثاروا على الدولة في أصفهان وفي الحرب الذي جرى بين عسكر ابن ملكشاه وبين أنصار نظام الملك انكسر الجيش الأول وهرب تاج الملك الى يزدجرد وهناك استوزره (بركيارق) ولكن قتله جماعة نظام الملك في عام (٤٨٦) ه وبركيارق هو ابن ملكشاه وحفيد آلب أرسلان تولى عرش أبيه في ايران عام ٤٨٤ وحكم (١٢) سنة وتوفي وعمره (٤٥) سنة .

يستحقه مثله ثم رسم الأمير علاء الدولة ليالي الجمعات مجلس النظر بين يديه بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم والشيخ من جملتهم فما كان يطاق في شيء من العلوم . واشتغل في أصفهان بتتميم كتاب الشفاء ففرغ من المنطق والمجسطي (الهيئة) وكان قد اختصر أوقليدس (الهندسة) والأرثماطيقي (الحساب) والموسيقى ، وأورد في كل كتاب من الرياضيات زيادات رأى أن الحاجة اليها داعية . أما في المجسطي فأورد عشرة أشكال في اختلاف المنظر . وأورد في آخر المجسطي في علم الهيئة أشياء لم يسبق اليها ، وأورد في أوقليدس شبها ، وفي الارثماطيقي خواص حسنة ، وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الأولون ، وأتم الكتاب المعروف بالشفاء ما خلا كتابي النبات والحيوان فانه صنفهما في السنة التي توجه فيها علاء الدولة الى (سابورخواست) في الطريق . وصنف أيضاً في الطريق « كتاب النجاة » واختص بعلاء الدولة وصار من ندمائه الى أن عزم علاء الدولة على قصد همذان وخرج الشيخ في الصحبة فجرى ليلة بين يدي علاء الدولة ذكر الخلل الحاصل في التقاويم المعمولة بحسب الأرصاد القديمة فأمر الأمير الشيخ بالاشتغال برصد هذه الكواكب وأطلق له من الأموال ما يحتاج اليه ، وابتدأ الشيخ به وولي الشيخ الجوزجاني اتخاذ آلاتها واستخدام صناعتها حتى ظهر كثير من المسائل ، فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الأسفار وعوائقها . وصنف الشيخ بأصفهان كتاب العلائي ، وكان من عجائب أمر الشيخ اذا وقع له كتاب مجدد لا ينظر فيه على الولاء بل كان يقصد المواضع الصعبة منه والمسائل المشكلة فينظر ما قاله مصنفه فيها فيتبين مرتبته في العلم ودرجته في الفهم . وفي يوم من الأيام كان الشيخ جالساً بين يدي الأمير وأبو منصور الجبائي حاضر فجرى في اللغة مسألة تكلم فيها الشيخ بما حضره فالتفت أبو منصور الى الشيخ يقول انك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها ، فاستنكف الشيخ أبو علي بن سينا من هذا الكلام

وتوفر على درس اللغة ثلاث سنين واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الأزهري ، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلّما يتفق مثلها ، وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة من اللغة وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد والآخر على طريقة الصابي والآخر على طريقة الصاحب ، وأمر بتجليدها وإخلاق جلدها ، ثم أوعز الى الأمير فعرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبائي وذكر أنهم ظفروا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب أن يتفقدها ويقول لهم ما فيها فنظر فيها أبو منصور وأشكل عليه كثير من ألفاظها وما فيها ، فقال له الشيخ ان ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة وذكر له كثيراً من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الألفاظ منها . وكان أبو منصور مجزفاً فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها فقطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ وان الذي حمله عليه ما جبهه به في ذلك اليوم فتنصل واعتذر اليه .

ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه (لسان العرب) لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله الى البياض حتى توفي فبقي على مسودته لا يهتدي أحد الى ترتيبه . وكان قد حصل لابن سينا تجارب كثيرة فيما باشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب (القانون) وكان قد علقها على أجزاء فضاعت قبل اتمام كتاب القانون . من ذلك أنه صدع يوماً فتصوّر أن مادة[1] تريد النزول

---

(١) يظهر أن الدماغ كان محتقناً وضغط الدم عالياً تخاف من النزف الدماغي وعليه استعمل الثلج وتبريد المحل لهذه الغاية وهو تدبير حكيم لمنع الالتهاب في سحايا الدماغ وفي ايقاف الاحتقان . وقد يكون الورم حاداً في حجـاب الدماغ الرقيق والغليظ دون جرمه وان كان جرمه قد يعرض له ورم وليس كما ظن بعض المتطبيين أن الدماغ لا يرم ... أما علاماته المشتركة لأصنافه الحقيقية فحمى لازمة يابسة تشتد في الظهارة على الأكثر وهذيان يفرط تارة وينقطع أخرى وكراهة الكلام وكلاًّ منه الى آخر ما وصفه ابن سينا في كتابه وسمـاه « قرانيطس = Crinâtis) ومما وصفه ابن سينا أعراض داء الجنب وخراج الكبد والتهاب الحيزوم وفرق بينهم ، والسكتة الدماغية ، وحمى المثانة السرجية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى حجاب رأسه ، وأنه لا يأمن وربما يحصل فيه فأمر باحضار ثلج كثير ودقه ولفه في خرقة وتغطية رأسه بها . ففعل ذلك حتى قوي الموضع وامتنع عن قبول تلك المادة وعوفي .

وبينا كان قاصداً علاء الدولة وهو في همذان عاوده القولنج في الطريق الى أن وصل الى همذان وعلم أن قوته قد سقطت وأنها لا تفي بدفع المرض ، فأهمل من اداة نفسه وقال المدبّر الذي في بدني - ويعني الطبيعة - عجز عن تدبير بدني فلا تنفعني المعالجة ثم اغتسل وتاب وتصدق بما بقي معه على الفقراء ورد المظالم الى من عرفه من أربابها وأعتق غلمانه . وكان يحفظ القرآن فيختم في كل ثلاثة أيام ثم مات في الجمعة الأولى من رمضان سنة ٤٢٨ هـ ودفن في همذان ، وكان يوم توفي قد بلغ من العمر (٥٨) سنة وفي رواية ابن أبي أصيبعة (٥٣) سنة .

والذي يستنتج من هذه السيرة الحافلة بالأحداث أمور لا يسعنا إغفالها لأن فيها ما ينشر لنا الفهم عن أصول التحصيل الذي كان متبعاً حتى القرن الرابع والخامس ، وماذا كان يتعلم معظم الأطباء . وأما عن ابن سينا هذا الحكيم النابغة والفيلسوف العظيم فيمكن ذكر هذه الأمور الهامة على الوجه الآتي :

أولاً — ان ابن سينا أكمل العلوم وحصَّل الطب وهو لا يزال بين السادس عشرة والاحدى وعشرين من عمره ، وان ما تعلّمه من علوم ذلك العصر لم يزدد بعد ذلك ولكنه زاد نضوجاً وتجربة .

ثانياً — ان قوة الحفظ والتذكر ، والتحري ، والقياس ، والفهم ، كانت فيه قوية ونادرة المثال بين الأطباء والحكماء . يدلنا على ذلك حفظه القرآن ، واستظهاره كتب اللغة والفقه والحديث والعروض ، ثم اطلاعه على ما ترجم من الكتب اليونانية والفارسية وحفظه علومها وحفظه كتاب (ما وراء الطبيعة) للفارابي وقراءته أربعين مرة حتى فتح عليه مغاليق قضاياه .

ثالثاً — اطلاعه على الفلسفة والعلوم الإلهية وتبحره في مسائلها وتصنيفه الكتب الكثيرة عنها .

رابعاً — انشغاله الدائم في الحل والسفر في التصنيف ، والتدريس ، والاملاء في مختلف العلوم حتى زاد ما كتبه في جميعها بما ينوف عن المائة كتاب .

خامساً — لم يمنعه طبه ولا التصنيف عن الاشتغال في السياسة والتوظف في الوزارة وتدبير أمور الملك لعدة ملوك من آل بويه والسلاجقة .

سادساً — حبه العظيم للموسيقى ، والرياضيات ، والفلك ، واشتغاله فيهما وتصنيفه الكتب فيها .

سابعاً — اتقانه العميق الدقيق لعلوم اللغة العربية ووضعه كتاب « لسان العرب » وتأليفه الرسائل الثلاث التي حاكى بها ابن العميد ، والصابي ، والصاحب . ونظمه القصائد البليغة في التصوف والإلهيات ، والأراجيز في الطب والصحة ، وفي ذلك أثبت نزعته الفنية وشعوره الحساس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثامناً — أثبت أنه أعظم شخصية اسلامية تمثل المعرفة الموسوعية في جميع العلوم .

تاسعاً — تمتعه بملاذ الحياة كمنعم لراحة النفس ، وتعديل فعل الغرائز ، وتهذيب الطباع .

عاشراً — استجابته لطبيعته الوثابة ، وفكره المنطقي ، وفلسفته العميقة السامية في تصانيفه ووضعه وتأليفه كتاب (القانون) الذي تناول علم الطب وفروعه حتى زمانه ، فبوّبه وصنفه واستخلصه من الكتب التي اطلع عليها وجرده من الزوائد والخرافات والشعوذة ، ورتبه ترتيباً شيقاً أضاف عليه ما استقرأه وشاهده ، وجربه فكان خير كتاب لا يستغني عنه الأطباء ولذا نظر فيه كل الذين أتوا بعده وغيره منهم اختصروه وادخروه وبقي حتى القرن الخامس عشر ميلادي يدرّس في مدارس أوروبا والشرق ، وكانت آخر طبعة له طبعت في روما عام ١٥٩٣ م .

حادي عشر — ان ابن سينا كان أول من أشار بوضوح الى عدوى السل الرئوي وانتقال الأمراض الى الانسان بواسطة الماء والشراب ، وأول من وصف داء الفيلاريا وانتشاره في الجسم ، وأول من وصف داء الجمرة الخبيثة وسماها بالنار الفارسية ، كما أن الرازي أول من وصف بدقة داء الجدري والحصبة وفرق بينهما ، وأول من قال بالعدوى الوراثية . والطبري أول من اكتشف الحشرة التي تسبب داء الجرب ووصفها .

ثاني عشر — استعمل الرياضة الروحية والرياضة البدنية في طلب الهداية وحلّ مغاليق القضايا والمسائل وهي طريقة صحيحة لتصفية الذهن واراحة الفكر .

ثالث عشر — كانت عبقريته من النوع الذي لا يستقر على حال وحياته موسومة بالشواذ والغرابة يقضي الليالي مكباً على القراءة والكتابة ، ويتناول أحياناً المنبهات ليبقى واعياً ، واذا أتاه النوم تناوبته الأحلام فيما كان يقرأ ويفكر ، وكان حينما ينتهي من عمله يستسلم الى شرب الخمرة والطرب .

رابع عشر — كانت له أطماع سياسية تجعله دائم التنقل من أمير الى آخر ، ومن مدينة الى أخرى ، ومتى أدرك حظه من السياسة كان ينسى الطب ، وبعكس ذلك عندما تخذله السياسة كان يعود الى ممارسة الطب والتأليف . ودلّ نشاطه على أنه كان قادراً على تأليف كتاب في الليلة واحدة .

خامس عشر — كان قوي الحجة قاطع البرهان ، وهذا ما جعل كتاباته شديدة التأثير على رجال العلم والفكر في عصره وفي القرون الوسطى . وقد قال عنه «وليم أوسلر» ان قانونه الطبي كان الانجيل الطبي لأطول فترة من الزمن درس فيه الطلاب والعلماء مدة تنوف عن ثمانية قرون . أما تآليفه الاخرى فأهمها قوانين ومعالجات طبية ، الأدوية القلبية ، كتاب الشفاء وكتاب النجاة وكتب أخرى منها ما هو مطبوع والباقي لم يطبع عدا ما له من مؤلفات في العلوم الأخرى .

سادس عشر – يدل شعره على نزعة فلسفية صوفية . ومن قصائده الشهيرة قصيدة في النفس ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بها وهبوطها في ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت بين المعالم والطلول الخضع
تبكي اذا ذكرت دياراً بالحمى بمدامع تهمي ولما تقطع
وتظل ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الأربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها قفص عن الأوج الفسيح الأربع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ودنا الرحيل الى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل مخلف عنها حليف الترب غير مشيع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأي شيء أهبطت من شاهق سام الى قعر الحضيض الأوضع
ان كان أرسلها الإله لحكمة طويت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها ان كان ضربة لازب لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق في الحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

وتقول وصيته التي أوصى بها صديقه وهو أبو سعيد بن أبي الخير الصوفي على ماله من عقيدة دينية ومن مبادئ أخلاقية واجتماعية يجدر بنا نقلها كما هي تكملة لبحثنا عن ابن سينا وسيرته .

قال الشيخ الرئيس : « ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره ، ولتكن عينه نفسه مكحولة بالنظر اليه ، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى . واذا انحط الى قراره فلينزه الله تعالى في آثاره فانه باطن ظاهر تجلى لكل شيء بكل شيء

« ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد »

فاذا صارت هذه الحال له ملكة انطبع فيها نقوش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت فألف الأنس الأعلى ، وذاق اللذة القصوى ، وأخذ عن نفسه من هو بها أولى ، وفاضت عليه السكينة ، وحقت له الطأنينة ، وتطلع على العالم الأدنى اطلاع راحم لأهله مستوهن لحيله ، مستخف لثقله ، مستحسن به لعقله ، مستضل لطرقه وتذكر نفسه وهي بها لهجة وببهجتها بهجة ، فتعجب منها ، ومنهم تعجبهم منه ، وقد ودعها وكان معها كأنه ليس معها . وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة ، وأمثل السكنات الصيام ، وأنفع البر الصدقة ، وأزكى السر الاحتمال ، وأبطل السعي المراءاة ، ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت الى قيل وقال ، ومناقشة وجدال ، وانفعلت بحال من الأحوال . وخير العمل ما صدر عن خالص نية ، وخير النية ما ينفرج عن جناب علم ، والحكمة أم الفضائل ، ومعرفة الله أولى الأوائل . اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، ثم يقبل على هذه النفس المزينة بكمالها الذاتي فيحرسها عن التلطخ بما يشينها من الهيئات الانقيادية للنفوس المواديه التي اذا بقيت في النفس المزينة كان حالها عند الانفصال كحالها عند الاتصال إذ جوهرها غير مشارب ولا مخالط ، وانما يدنسها هيئة الانقياد لتلك الصواحب ، بل يفيدها هيئات الاستيلاء والسياسة

والاستعلاء والرياسة ، وكذلك يهجر الكذب قولاً وتخيلاً حتى تحدث للنفس هيئة صدوقة فتصدق الأحلام والرؤيا . وأما اللذات فيستعملها على اصلاح الطبيعة وابقاء الشخص أو النوع أو السياسة . أما المشروب فان يهجر شربه تلهياً بل تشفياً وتداوياً . ويعاشر كل فرقة بعادته ورسمه ، ويسمح بالمقدور والتقدير من المال ، ويركب لمساعدة الناس كثيراً مما هو خلاف طبعه ، ثم لا يقصر في الأوضاع الشرعية ، ويعظم السنن الإلهية ، والمواظبة على التعبدات البدنية ، ويكون دوام عمره اذا خلا وخلص من المعاشرين ، تطربه الزينة في النفس ، والفكرة في الملك الأول وملكه ، وكيس النفس عن عيار الناس من حيث لا يقف عليه الناس . عاهد الله ، أنه يسير بهذه السيرة ويدين بهذه الديانة والله ولي الذين آمنوا وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

أما ما ذكر عن ملذاته وافراطه الجنسي فلا يقبل صدقه كما ورد لأن من كان مثل الشيخ ابن سينا في نبوغه وعبقريته وعلمه وانسانيته ومطامعه ومشاغله وسهره وصلاته ، وفلسفته وصوفيته ، وتآليفه وكتابته ، يصعب علينا وصفه بما كتبه بعضهم عنه . وفي عقيدتي انه براء منه . أليس هو القائل :

احفظ منيك ما استطعت فانه ماء الحياة يصب في الأرحام

فكيف يقول هذا ويفرط في شهواته وملذاته ؟ وماذا نقول عن وصيته وعن سيرته في شبابه ؟ ان الذين ترجمنا لهم سيرتهم اتخذناهم نموذجاً لتصوير الزمن الذي عاشوا فيه ، والحياة الاجتماعية التي تربوا في بيئتها ، وماهية العلوم التي درسوها ، والمناهج الدراسية التي اتبعوها ، وما أردنا تعداد كل من يجب ذكرهم من عباقرة الأطباء العرب بل اكتفينا بهؤلاء الثلاثة خوفاً من الإطالة والخروج عن الغاية وهم في نظرنا خير من يمثلون ثقافة العرب الطبية .

(يتبع) عبد الرحمن الكيالي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبقرية خليل مطران

في الغزل والتصوير[1]

يرى كثير من النقاد أن مطران حمل راية التجديد في الشعر العربي ، وأنه برع في الغزل القصصي وفي الوصف ، فكان شاعر معان لا شاعر صناعة وصياغة ، وأن عنايته انصرفت الى معرفة الأدب الغربي يقلده ويحذو حذوه أكثر مما يقلد القدماء من العرب الفحول ، فانخفض عن زملائه البارودي وشوقي وحافظ في السبك والمتانة ، ولكنه فتح فتحاً كبيراً في صوره وألواحه وتماثيله .

ويرى هؤلاء النقاد أن ذلك راجع الى نشأته وتربيته وثقافته وتقلب حياته ، ونحب هنا أن نستعيد الخطوط الكبرى لهذه النشأة والثقافة مما يفيدنا في عرض غزله ووصفه . فقد ولد الخليل في بعلبك بعد عامين من حرب السبعين ، ولبث العالم يتحدث عن الحرب الطاحنة ، والمدافع الهدامة ، والأجساد المتساقطة ، وانتصار الألمان واندحار الفرنسيين . وسوربة كانت تتصل في كثير من أجزائها بجانب واحد من ثقافة هؤلاء المحاربين وعقليتهم ، فلها أن تهتم بالقوم ، وأن تتحدث عن نكبتهم وأن ترهف السمع الى تلك الأحداث ، فدارت حول الفتى أحاديث في سهرات بعلبك وفي بيت مطران ، لا تخلو من أسى وهول ، في بشاعة الانسانية ومصائب الحروب .

ودرج الفتى في هذه المدينة الصغيرة ، وهي لمن يعرفها حديقة زرعت بالبيوت البسيطة ، وفي قلبها أعمدة سامقة ركزها الرومان في القديم ، وخلفوا على جنباتها نقوشاً لآلهتهم ، لعلها أجمل ما بقي من آثارهم في الشرق ، فهي منحوتة على براعة

(١) الكلمة التي ألقيت في مهرجان مطران بالقاهرة في ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٩ .

مدهشة ، تمثل إله الحرب مارس وعليه درعه ، وديانا إلهة الصيد ، وباخوس إله الخمر وحول رأسه عناقيد العنب ، وإلهة العشق وبين ثدييها تجسم ولد ذو جناحين هو كوبيدون رسول الحب والهوى وعلة القلب في كل شاعر .

هذه الأعمدة كانت تبعث التاريخ والأسى والجمال والعظمة ، يراها الفتى إذا أصبح ويراها إذا أمسى ، قائمة الى السماء مائلة نحو الارض ، أو نائمة الى الأبد ، فتلهو عيناه الصغيرتان بالجواري ، والحور والعنب على أطرافها ، وقلب الفتى يعبث بالتاريخ والقصص فيحلم بالحب الذي نبت في ظلالها والهوى الذي عاش في أكنافها . وبذلك ولد في نفسه عاملان عامل النحت وعامل الحب ، وقامت في قلبه مشاعر القصة والحزن والكآبة .

فلما زحزح عن بيروت وكليتها ويمم باريس لقي الجمال كذلك في كل زاوية ، وتنشق العطر عند كل شجرة ، وتعلق وهو في الثامنة عشرة بمنابع الأدب الغربي ، يعب من الرومانسية السائرة ، فيعشق فيني وموسه ويحفظ من شعرهما ، ويسهر مع مسرحيات باريس في قصص جميل .

وعلى هذا كله أصاب الفتى مرض العصر في لبنان وهو الهجرة والرحلة ، فوقف بين شبلي ومصر ، ولكن مصر تغلبت أخيراً ، فعاد اليها ليقضي فيها قرابة خمسين سنة ، وفي برديه كآبة الماضي ، ورحلة التاريخ ، ونقوش الجمال ، ورومانسية الشعر . فقام في نفسه أن يحدث حدثاً في الأرض المضيفة ، وعزم على أن ينقل الشعر الغربي والمسرح الغربي الى مصر ، ففكر في أن يحمل الشعر العربي الذى ينظمه على غرار ما حفظ وما سمع ، وراح يعمل له في فهم جديد وروح جديدة على جناحين من تصوير بارع وقصص في الحب ، فكان منه ديوانه الأول ، أصدره سنة ١٩٠٨ وعمره ست وثلاثون سنة ، هو الذي يمثل شعره في رأينا ، وهو الذي نقف عنده خلال هذه الدقائق أثرى الى الغزل والوصف كيف كانا منه .

صدر الديوان « ببيان موجز » شبه فيه الشعر الذي بقي له ببقايا السفينة الغريقة والقطع السالمة من الآثار ، فأذكرنا ببقايا بعلبك . وقال انه لن يخشى الخروج على المألوف من الاستعارات والمطروق من الأساليب ولكنه سيحتفظ جهده بأصول اللغة ، ورد على من سخر من شعره العصري قائلاً : « نعم هؤلاء ، نعم ، هذا شعر عصري ، وفخره أنه عصري ، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر » . ورسم في هذا البيان خطته فقال بأنه لا ينظر « الى جمال البيت المفرد ولو أنكر جاره ، وشاتم أخاه ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام » . فقضى على نظرية الجمال في البيت الواحد ، والشاعر بالبيت المفرد ، وأراد أن يكون الجمال بجملة القصيدة « في تركيبها ، وترتيبها وتناسق معانيها ، وتوافقها ، مع ندور التصور ، وغرابة الموضوع ، ومطابقة كل ذلك للحقيقة ، وشفوفه عن الشعور الحر وتحري دقة الوصف ، واستيفائه فيه على قدر » كما قال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بهذه الصرخة كان خليل مطران يرسم الشعر لنفسه ولجيله فيقول : « انه شعر المستقبل لأنه شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعا » . وعلى هذه الخطة سار في ديوانه الأول يواكب العصر والزمان ، فنشل في بعض وينجح في بعض ، ولكنه سار على الدرب ؛ وسارت قوافل الشعراء مثله على الدرب نفسه ، في المهجر ولبنان وسورية ومصر ، لأنها أحست كما أحس بضيق المعاني ، فأرادت أن تنفتح على الغرب ؛ نوافذها ، تطل على ألوان جديدة ورسوم جديدة شريطة أن تستمد جذورها من عبقرية اللغة العربية وغناها وجمال طواعيتها للمعاني البعيدة المولدة ، نعي قد أعطت أبداً على الزمان لم تمنع ولم تضن .

وفي هذا الديوان الأول طغى شعر القلب على كل شيء حتى قال مطران نفسه : « الحب ثلاثة أرباع شعري » ولعله أراد أن يسد النقص في قصص الحب

لعصره ، فيملأ الخالي من حافظ ويوضح الخفيّ من شوقي ، بل لعله أراد أن ينتصر لهذا اللون في معركة الشعر ، على قصص جميل جديد .

كان في حديقة الجيزة أصيل يوم ، فرأى فتاة تنظر في عيني أمها ، وتصلح شعرها ، فوصف منها الثياب والقوام وقال :

جلست تقابل أمها وكأنما ... كلتاهما جلست قبالة رسمها
وتناثرت ضفر الفتاة غمائما ... سترت عن الأبصار طلعة نجمها
فتحيرت فيما تحاول وهي قد ... أعيت بلا مرآتها عن نظمها
فدنت تحاذي أمها وتناظرت ... بعيونهما وجلت سحابة همها
وكذا الفتاة إذا أضلت ساعة ... مرآتها نظرت بعيني أمها

وأحب أن نتلفت الى الرقة في الوصف والتغزل ، والتخلص ، لقد أعارها الخليل من شعره مرآة جلت وصفها وهو في الثانية والعشرين ، وأنامله ما تكاد تقوى على صنع المرايا ورسم الألواح ، فاذا أمسكت بازميل النحات والمثال ، طمحت الى مثل ما صنع الرومان في بعلبك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ودرجت السنون وازميل الفنى ينحت من قصص الحب معهودة ومروية ، كأنه ترجمان القلوب وبستان الأحبة ، يسيل دمعه حيناً في فرح ، وحيناً في أسى ، فهو يبث شكوى المحبين ، وينفسح أقاصيص المغرمين ، ليخفي وراءها هواه وآلامه . فكان يقلد الرومانسيين ويتبع ألفريد دوفيني حين يتحدث هذا الشاعر عن بنت يفتاح وقد نذر أبوها قرباناً أن يضحي بأول شخص يلقاه حين يعود منتصراً ، فاذا بابنته تخرج أول من يخرج للقائه ، أو حين يتحدث فيني عن الحب في قلب موسى الكليم عليه السلام ، بل لعله يتشبه بليالي موسه الأربع ، والألم ينبع من نفس الشاعر ، والآلهة تحثه على الصبر ، أو أنه شبيه بقصائد موسيه في المفصاف ، ونامونا ، ورولا ، وكلها تتغنى بالحب الباكي والغرام الحزين .

وعلى متن هذه القصائد الغرامية التي نسجها مطران ركب الى ساح الشعر الغربي ، فانتقل من ميدان المقطعة الغزلة أو مطالع النسيب التقليدية الى قصائد جعلها برمتها لهذا الغرض ، وصف فيها الهوى بين الفتى والفتاة وترجم ما كان بينهما من لقاء ، وأحداث ، وعواطف ، ومشاعر • فأصبح الشعر على يديه طامحاً الى أن يجاري أدب القرن التاسع عشر في فرنسة • وبذلك رسم مطران قصص الهوى في نفوس غيره ، فوصف ضلوع الأحبة وأفئدة العشاق التعساء ، وقام للشعر الرومانسي في جوى وحرقة وألم • واستعار قلوب الناس ليرسم ما في قلبه •

وألحّ مطران على ذلك حتى كانت قصة حبه سنة ١٨٩٧ ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، فنظم قصيدة جعل عنوانها « حكاية عاشقين » وقدمها بقوله : « تتبع الناظم وقائعها ، وكان فيها ترجمان ضمير العاشق ولسان فؤاده » • وهذه القصيدة استهوت النقاد ، واستحوذت على اعجابهم ، فتحدثوا عنها ، لأنها حقاً أطول قصائد العشق في الأدب العربي ، بل انها مجموعة مقطعات وقصائد بتغير فيها الوزن والقافية ، ويظل المعنى متلاحقاً متتابعاً ، كأنها مسرحية شعرية لمتكلم واحد (مونولوج) • وصف فيها مطران رواية الحب منذ اللقاء حتى الختام ، فيها حديث القلب ، ونعيم الحب ، تحت ضوء القمر أو في ظل الشجر ، أو على النيل المبارك ، وفيها الغضب والرضا ، والصحة والمرض • وقد ختمت بفاجعة ، لأن الفتاة سافرت الى الشام ومرضت وماتت • ومرض الفتى حتى لكأنه رسم محيل ، أو بيت عتيق شيد فيه لعابد ورع مقام •

ثم وجد المحب منديلاً بين ملابسه أبلاه مرور أعوام لم يسلم منه إلاّ الموضع الذي طرز عليه حرفان مشتبكان من اسم حبيبته ، فاستبكى وراح يغني شعراً وختم القصة بدمعة على قبرها ونجوى في ذكرها •

وهذه القصيدة المتقطعة في أوزانها وقوافيها وقعت في ديوانه على ست وثلاثين صفحة ، فكانت قصة الحب الطويلة ، هي قصة الخليل نفسه هزت كيانه فيما قيل ، وبدلت من شخصيته ، فعاش أعزب لم يتزوج بعدها أبداً ، وقد قالوا ان هذه الصدمة العنيفة كانت نهاية حبه ختمه حبها ، فماتت عذراء ، وقضى عمره شهيد الحب ، فكأنها من مسرحيات شكسبير .

وبعد أن عرفنا القصة نحب أن نستمع الى صور قليلة منها ، مثالاً على أسلوبه في الغزل القصصي أو قصة الغزل ، قال يرمم أثرها في نفسه :

ان لي في الغيب الفاً قد نأى عني نفورا
حجبت منه الليالي عنيَ الصبح المنيرا
منية قد أصبحت في خاطر الدهر ضميرا
فارق الدنيا وأبقا في جزوعاً مستطيرا
أبتغي السير اليه حيثما بات قريرا

* * *

فاذا أدركته أطفأ تُ من وجدي السعيرا
واتحدنا فاغتدينا مزج روحين سرورا
نفحة إن هي إلاّ نسمة ضمت عبيراً (١)
أو شعاع ان تبينت فنور ضم نورا

ويعف الحبيب عن لقاء غيرها على كثرة ما وقع له من فرص ، فيقول مناجياً منديلها :

وكم عرضت لي غانيات فعفتها وصنت ضميري واللسان المشبّبا
وكم بلد وافيته متلهياً فغادرته أدمى فؤاداً وأكأبا

(١) في الطبعة الثانية : « وتآلفنا على الدهر نسياً وعبيراً » والبيت بعده : « أو شعاعاً » .

وما زال هذا الحب فيّ مؤبدا ... مكيناً نبت عنه السنون وما نبا
وما زلت يا منديل ليلى ملازمي ... تنشقني الذكرى نسيماً مطيبا
أصابك ناب قارض من فم البلى ... الى موضع فيه اسمها فتجنبا
وغال فؤادي البين الا بقية ... قضى الحب أن أحيا بها فأعذبا

وسافر الخليل بعد هذه المأساة الى الشام سنة ١٨٩٩ ، ليستشفي من جراح قلبه وجسمه ، ويرى من جديد مدينته بعلبك وجارتها زحلة «جارة الوادي» . فلما عاد الى مصر أقبل يستمع الى قصص الحب والهوى ، يرى فيها صورة حبه ونشيد أيامه ، فيصوغها ألحاناً يبثها أمله وبكاءه ، فهو مشوق حين يلقى العاشقين . وكان أن وقعت اليه قصة فتاة أحالها الحب من الطهر الى السقوط فنظم فيها .

هذه الفتاة فلاحية قدمت مع المهاجرين ، وكان أبوها واخوتها في فقر مدقع ، فمضت تستجدي الأكف من السابلة لتعول أسرتها ، فلما أصبحت صبية جميلة دفعها أبواها الى حانة ترتزق منها ، وتصيب عيش أهلها ، فراحت في هذا القبو العفن تشرب وتسقي حتى نصب لها شاب مخادع حبال الصيد ، ومناها بالزواج فأطاعته في الهوى حتى كان له منها ما أراد ، وحملت جنى غير مشروع ، فتركها ولاذ بالفرار . وقاست بعده آلاماً مبرحة من ذل وفقر وعار ، فمات ضميرها وقضت على جنينها الشهيد ، ونسيت الذي كان من شرف ، وغدت في خمارتها الجديدة ، بؤرة للسقوط ، لتشهد العالم على شرور الرجال وضعف النساء .

وهذه القصة ليست جديدة ، لأنها قد تقع في كل ساعة بالشرق والغرب ، انها قصة آدم وحواء ، جنت حواء فيها قالوا مرة ، فراح آدم يجني في كل سانحة مرات . ومسارح باريس مشغوفة حباً بهذا اللون ، شهدها مطران وفهمها ، وتأثر بغادة الكاميليا وأخواتها فيما تأثر به .

والمهم أن مطران نظمها في قصيدة طويلة كذلك استغرقت ثماني عشرة صفحة متصلة لا انقطاع فيها ولا عناوين بينها ، على بحر واحد ، وروي مختلف ،

في أبيات مخمسة جعل عنوانها « الجنين الشهيد » وقصَّ فيها حكاية الحب ، فكانت من الغزل القصصي البارع ، وكانت القصيدة المدوية التي دفعت الشاعر الى الشهرة ، قرأها نجيب الحداد فقال : « ان هذا المذهب في اعتقادي هو مذهب الشاعر في المستقبل » . وقال صاحب مجلة سركيس : « انها الياذة الشعر الحاضر ، ومعلقة النهضة الشعرية العصرية » . وذلك لأن الشاعر اعتمد على وحدة القصيدة ، فكان كالغربيين سواء بسواء ، حتى لكأن قصيدته مترجمة أو منقولة . وانها على بساطة في الأسلوب وسهولة في اللفظ ، ولو انها لا تقف للشعر الجزل الذي كان يرسله شوقي وحافظ .

ومردُّ النجاح عند مطران في هذه القصائد القصصية للغزل هو هذا الوصف الذي كلف به الشاعر ، وطاوعته ريشته في رسمه ، فصوَّر الحب تصويرا ، وكان في هذا الباب الشاعر الوصَّاف . فكل غزله يعتمد على القصة ، والقصة تعتمد على الوصف والتصوير ، وقد كانا من أكبر الأسباب في شهرة مطران .

***

ان الوصف كان على لسان شاعرنا تصويراً للمنازع والمشاعر والعواطف ، وكان تصويراً للمشاهد والجمادات ، تأثر فيه الغربيين ، وشغف حباً بالألواح التي خلدها شعراؤهم . فأراد أن يكون في أدبنا رسام المشاهد الكاملة حتى لقد وازنه النقاد بابن الرومي على بعد ما بينهما من أهداف وأغراض .

والحق أن الخليل اعتمد على الوصف في مديحه وفي رثائه وفي قصص الحب ، فوصف الرجال أحياء وأمواتاً ، وصفاً انتزعه من صميم الحياة ، في خيال قوي وشعور واسع ، وحيوية فياضة كانت ينابيعها من صباه ومن رحلاته ومن ثقافته ونفسيته .

فخاف منذ صباه مشاهد في الوصف جميلة ، لعله استقاها من صور الصبى ونقوش بعلبك ، فسمت بداه الى نحت نقوش نابليون الأول حين انتصر ، ونابليون الثالث حين انكسر ، وكان في هذه القصيدة الفنية يربنا أول محاولة لوصف القتال ، والفناء ، والبشرية المتحاربة فقال في نابليون :

الجد رهن اشارة بيمينه والنصر بين يديه كالمنقاد
والفخر في راياته متمثل وطلائع العقبان في ترداد

الى أن قال في الرصاص والقنابل :

تلقى الرجال على الثرى قتلى كما يلقي السنابل منجل الحصّاد

واتخذ سبيله الى صور العقبان عن شعرنا الحمداني ، وصور السنابل عن الشعر الغربي ، ووصف الجيشين يلتقيان ، والهتاف يعلو ، والآلات تتجاوب ، والنار في كل مكان كالشهب الضخام والردى غاد وآت ، والجراح تسيل ، والأمهات يبكين الأولاد ، والحزن يعم . فكان مطران بهذا انسانياً يهتم بالمتحاربين لا بالقادة فحسب ، وينظر الى الشعب وما تكلفه الحرب حين الانتصار والانكسار من ألم وفقد وخراب . وهي نظرة بعيدة لشاب ناشئ .

فلما أراد أن يصور آثار بعلبك ، ويرمم الحجر ويستذكر طفولته وعهوده حين يلهو بهند وتلهو به هند ، وصف حاله وحالها كالفراش يجريان في الرياض ، ثم يلتقيان على قبلات عفيفة تحاكي الندى في الأسحار ، ثم انتقل الى الحجر والجماد فقال :

صنعوا من جماده ثمراً يجـــنى ولكن بالعقل والأبصار
وضروبا من كل زهر أنيق لم تفتها نضارة الأزهار

وشموساً مضيئة وشهاباً باهرات أكنها من حجار
وطيوراً ذواهبا آيبات خالدات الغدو والابكار
في جنان معلقات زهاء بصنوف النجوم والأنوار
وأسوداً يخشى التحفز منها وبروع السكوت كالتزآر
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الأنياب غير ضواري
في عرانينها دخان مثار وبألحاظها سيول شرار

وكثيرة هي ألواح الوصف عند مطران في هذا الجزء الأول من الديوان ، ما نستطيع أن نستعرضها كلها ، فهناك قصيدته في فتاة الجبل الأسود وفي الماء والغروب تحمل ألواناً مختارة من الشعر ، ولكننا نحب أن نختم بصورة عن مصر تقف لصورته عن بعلبك ، وصف فيها بناة الأهرام فقال :

اني أرى عدد الرمال هنا خلائقاً تكثر أن تعددا
صفر الوجوه نادباً جباهم كالكلأ اليابس يعلوه الندى
محنية ظهورهم خرس الخطى كالنمل دب مستكناً مخلدا
مجتمعين أبحراً متفرعين أنهراً منحدرين صعدا
أكل هذي الأنفس الهلكى غداً تبني لفان جدثاً مخلدا

وهذه الأبيات على ضآلة موسيقاها ، تلز بالصور العالية للشعر ، ففيها براعة الازميل عند المثال ، وفيها نفسية الشاعر الإنساني ، وقلب الشاعر الاشتراكي ، وعقل المواطن الصالح . ذلك لأنها تأسى لأسى الشعب ، وتحنو عليه ، فلا تقف نفسها على مدح أمير أو تعزية وزير أو رثاء كبير ، وانما تتلفت الى البشر لتصنع منه تمثالاً ناطقاً ، يصور الألم والحزن والبشرية المعذبة منذ ولدت الى أن تموت .

وهذه الأبيات جزء مما خلف مطران لأدبنا ، صرفته الحياة ومشاغلها عن الاتقان فيه والتجويد ، فلم تكن مهنته الشعر فحسب وانما كان يستغرق الوقت من وظائفه في الزراعة والاقتصاد والأوبرا ، ومن أوقات مرضه ليصوغ هـذا الشعر الانساني الذي رفعه الى مواضع الإكبار والذكرى الخالدة ، فقد كان مطران أديباً بروحه وخياله مخلصاً لفنه وأمته بشعره ونثره ، محباً للتاريخ في ديوانه وفي تصنيفه ، عبّر عن ذلك في حياته الخاصة وفي شعره الكثير فكسا حياته وأدبه أجمل أبراد الحياة ، واستحق منا أجمل ماتهب الحياة خلوداً على الدهر ، وعرفاناً على الأيام .

الدكتور محمد سامي الدهان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نسخة تاسعة

من ديوان ابن عُنين

- ٢ -

(٦) وقتل الملك المعظم أسداً بالغَوْر فقال شرف الدين بديهاً :

يا ملكاً من بني الأكاسرة الأقيال أهل التيجان والسُرُرِ
لا خمدتْ نارك التي تُحرق الكفرَ وترمي الصليبَ بالشَرَر
ثمّت لا زلت دائماً تقنص الأُسْد لعزم أمضى من القَدَر
ما ذا حَلُوا[1] عنك عند قتلك الليثَ ولبس العِيان كالخبر
من وَثَبات ومن سطىً[2] وَثَبا ت قلّ ما يجتمعن في بشر
ثم جميع الأنام قالوا وما فاهوا بَيْن في البدو والحضر
ها ملك الوحش صاده ملك الانس فلله ذاك من ظفر
اني[3] (؟) عظيم المقدار لم يأت إلاّ بعظيم في الخطب والخَطَر
قُدّس عيسى المعظم الملك المُظهِر للمعجزات والسِيَر

(٧) وأهدى اليه بعض أصدقائه صابوناً وماء وَرْد بعد نَبوة كانت بينهما فقال :

فتىً أهدى إليَّ اليوم صابونا وماوَرْد
ليغسل عِرضَهُ مما بدا منه وما يُجْدي
ولو بالبحر أو بالقطر أو بالغيث ان أهدي

---

(١) كذا .
(٢) سطى أخلت به المعاجم ولعله الواوي لو ثبت .
(٣) لعله إنّ .

ولكنني غفرتُ له ذنوباً تَجِمّةً تُردي
بما قلت الذي قد قلت عن قصد وعن حقد
فلا تخش أذَى السيف اذا ما كان في الغمد

(٨) وأهدى اليه بعض أصحابه جُبُنّاً فقال فيه :

نفسي الفداء لمُهدٍ إليّ سلّة جُبْنِ
رطباً كمثل لساني في مدحه حين يُثني

(٩) وغنّى بعض المطربين في حضوره بهذين البيتين وهما :

هيّج الشوق صحابي وحدا الوجهُ ركابي
وجفا[1] المضجعُ حتى هجر الطيْفُ جنابي

وسأله بعض الأكابر أن يزيد عليها[2] فقال :

وهو من فرط غرام في نحيب واكتئاب
طائر العقل حزين ليس يهدَى الصواب
في هوى ظبي غرير فاتن حلو التصابي
ما يراه الله إلاّ لعنادي وعذابي
أين أيّامي المواضي لو أعيدت وشبابي
هل لما فات رجوع من وصال وتصابِ

(١٠) وكان أبلّ من مرض واحتاج الى فتائل عَنْبَر مصنوعة بفَحْم الكَرْم فكتب الى الشيخ تاج الدين[3] أبي اليُمْن زيد الكندي رحمه الله يطلب منه شيئاً من ذلك يقول :

(١) الاصل وخفى .
(٢) الاصل أن يزيدها .
(٣) النحوي المعروف ترجم له كثيرون .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

يا أيها المولى الذي عرفه   يضوع كالمسك مع الغاليه
مبدل وقد أبده الله (كذا) من   لطائف البرء على حاليه
وكل هذا بسعادات مو   لانا ومن همته العاليه
وهي التي قد أصبحت نرتجى   بأنها تنظر في حاليه
لكنني أسأل من فضله   طيبًا له من خشب الداليه
فنشره لاشك من نشرك الطيب   يحيي الرمم الباليه
فان عندي كاسمه ضده   شربته[1] الساعة من ماليه
والكرم[2] مفهوم فوا خجلتي   من كل ما قلت وإدلاليه

(١١) وعمل صفي الدين بن شكر رحمه الله مقامة فأخذها شرف الدين يطالعها وكتب على حاشية الكتاب :

مقامة مولانا الوزير جليلة   سمت وعلت في الناس مثل مقامه
غدت أبحرًا في عظمها وهي قطرة   اذا نسبت من فضل بحر كلامه
يقوم لها الأقوام من عظم قدرها   كما قعدوا عن نيل بعض مرامه
حوت من فنون العلم كل غريبة   وأعجوبة من نثره ونظامه
فكم خبر مع آية جاء ضمنها   وشكل معنى مشكل في انعجامه
تعالى الذي أعطى الوزير مناقبا   يفوق بها في مصره وشآمه

(١٢) وناوله الملك المعظم يومًا رسالة بخط ابن البواب فتأملها ثم قال بديهًا من ساعته :

خط علي بن هلال غدا   في حسنه كالأعين الدعج
ما خط في درج ولكنه   سمط لآل حط في درج

---

(١) الاصل شربنه .
(٢) الاصل واكرم .

وكتب على يد الشيخ الإمام العلامة نجيب الدين أبي الفتح نصر الله (١٣)
ابن الصفار المعروف بابن الشقيشقة شفاعة للأمير محمود الاروي نسيب ابن المجاور
الى بهاء الدين محمد بن التبني :

أيها السيد الذي جعل المجدَ لراجيه واجباً مفروضا
في صديق رأى ثنائي طويلا ومديحي جَمًّا وشكري عريضا
وقيامي في كل واد حَوَى السا دات أتلو مآثراً لك بيضا
ظنّ خيراً وقال لي سله في أمري وعرّض بحاجتي تعريضا
فعساه يَريش مني جَناحاً غادرته يد الزمان مَهيضا
قلت دعني فان جاهي مريض ومريض فلا يداوي مريضا

قال نجيب الدين فقبل شفاعته والتزم طاعته وجعل ميقات قضاء حوائجه ساعته .

وقال في وصف بِرَك النيلوفر : (١٤)

فكأنما البِرَك الملاء يحفها أنواع ذاك الروض والزهر
بُسُط من الديباج بيض فُروِزت أطرافها بفراوز خضر

وقال يوماً للشيخ نجيب الدين ما أحسن ما تحفظ في التشبيه في الغزل (١٥)
فأنشده في صبيّ حائك :

غزَلتْ لم تزل بالغزل جائلة بنانه جَوَلان الفكر في الغزَل
جذلانَ تلعبُ بالحواك أنمُلهُ على السَّدى لَعِبَ الأيّام بالدُوَل
ماإن بني تَعِبَ الأطراف مشتغلا أفديه من تَعِبِ الأطراف مشتغل
جَذْباً بكفيه أو فحصاً بأخمصه تخَبُّطَ الظبي في أشراك محتبل

فقال شرف الدين أشهد بالله لقد تستحق هذه الأبيات أن تكتب بذوب
السعادة على صفحات الزمان وتقام في الشرف على الشعر مقامَ الانسان من
الحيوان ثم فكر ساعة وأنشد مرتجلاً : م (٤)

وأهيفَ يحكي الغصنَ لِينُ قوامِه ... وتغرق في ماء النعيم غلائله
إذا ما بدا من شَعره في ذوائب ... رأيتَ غزالاً لم تَرُعه حبائله

فلما سمعها الشيخ نجيب الدين اهتزَّ لها اهتزاز الطَّروب للأغاني وأقسم أن ليس لقائلها ثاني ، وقال من حق هذه أن تكتب بماء الأحداق على صفحات القلوب وأن يُستنزل بها القطر بعد القنوط ويُستطلع بها الشمس بعد الغروب .

(١٦) وكتب إلى صلاح الدين الإربلي الكاملي بالديار المصرية وهو مريض يستزيره :

علىَّ ريح الشمال تحمل أشوا ... قي وتهدي تحيَّتي وارتياحي
ثم تشكو إليكم جَورَ دهر ... بزّني قوّتي وقصَّ جناحي
ألبستني صروفه ثوبَ سُقْم ... غيَّضت شِرَّتي وبانَ مراحي
كلما قلتُ قد تنكَّب نبل الدهـر عني رمى فأصمى جراحي
وصلاحي في أن أراك فإن لم ... بأذن الله لي عدمتُ صلاحي
فهنيَّاك لأعمى كفك السبط ومرأى[١] جبينك الوضّاح

(١٧) وعمل هذه الأبيات لما سافر الملك الناصر داود إلى إربل سنة ٦١٧ يتشوَّقه ويذكره :

عليك سلام الله داودُ حيثما ... تبوَّأتَ من مستوعَرٍ ودَهاس[٢]
ولا زالت النعماء لَبُسك كلما ... ذَوَى متلبَّسٌ بُدِّلته بلباس
رحلتَ فلا والله ما العيش بعدك الهنيء ولا الناس السُّراة بناس
كريم ذخرناه لعام محاذر[٣] ... ويوم مباهاة وساعة باس
وإن حلوماً لم تَطِش يوم غربة النوى لحلومٌ كالجبال رواسي

---

(١) الاصل ورأى .
(٢) الاصل دماس .
(٣) كذا .

فياقلب عيسى هل من الصخر كوّ نت حصاتك أم كل القلوب قواس

فيانفس لا تستحيي بحسرة وبامقلتي لا تطمعي بنعاس

فمالك من أمر الغرام مخلّص ولا لك من داء الصبابة آس

وماهاجت الذكرى إليك صبابتي ألا إنما الذكرى تهيج ناس[1]

وإني لأرجو الله والله قادر على جمع شمل منك بعد إياس

تمّ فصل الماجريات

الفصل الرابع

في الألغاز والأجوبة فيها وما دار بينه وبين الفضلاء فيها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ١٤٩ س ٩ أصلنا : نتوج ومقلات وهو الصواب . على ما اختاره محققه . وأصلنا وما لامست ذكر .

ص ١٥٠ س ٣ : يريد العقعق والزبرب .

س ١٠ : يتلوه سادس .

فبين الآن ما أقول فما تركت مهرا من أمره يكتتم

ص ١٥١ س ٣ : يريد الوراء (الخلف) وحرف الشين .

بعد س ١٥ :

وقال أيضاً ملغزاً في الفدفد : (١٨)

وما اسم رباعي إذا ما قلبته تراه[2] على التكرار من آلة الغنا

كما أنه من غير قلب ترونه إذا ما حللتم جوزه موجب العنا

---

(١) ناسيا .

(٢) يرى الدف مكررا ، وقطع الفدفد (البيداء) لا يخلو من عناء . والجوز الوسط .

(١٩) فقال أيضاً لُغزاً في لاحوق :

وما اسم خماسيٌّ إذا ما طلبته وكلّفت نفسي عادة ما عهدتها

فان قيل لي حرفان من أوّل اسمه وَدِدتُ بأن الروح مني فقدتها

ص ١٥٢ س ٥ : تداعت وكذا في أصلنا ولا غبار عليه .

ص ١٥٣ س ١ : عندنا مجد الدين محمد نسيب الامام فخر الدين محمد ابن عمر الرازي .

ص ١٥٣ س ٢ أصلنا : ذا عينين ما .

س ٦ أصلنا : إذا حُزَّ .... غدا نازياً فأعجب وصفتُ .

س ٨ أصلنا : اقتضبتُ .... والحلا .

ص ١٥٤ س ٢ أصلنا : إليه رجاءه .

س ٣ : وتُرْوَى متى تروي . ونظماً اذا .

ص ١٥٥ س ٢ : حكمه حكماً .

س ٧ أصلنا : ألفيتَ . يريد الخيل الفرس .

س ٨ : الخال في القول والعمل .

س ٩ أصلنا : لا يبخل .

ص ١٦٤ س ٥ أصلنا : الطفل في الدار إن حضر .

ص ١٦٥ س ٨ أصلنا : وسارية .

ص ١٥٧ س ٧ : اللُغز في أصلنا مختلف ونصّه :

وما اسم رباعي اذا زال نصفه غدا حالَ حُزْنه طولُ هضمه

وإن حسبوا ربع اسمه وتبيّنوا له عدداً ألفيتَه مبلغَ اسمه

قوله : غدا الخ أي بقي فرّ ماض من الفرار وهو حال حُزْن مسّه المَضيم

الظلْم . وقوله وإن حسبوا رُبع اسمه يريد الميم وهو في حساب الجُمَّل أربعة (كذا بدل أربعين) وحروف الاسم جميعه أربعة فرُبعه يقاومه .

ص ١٥٨ س ٥ : ملغزاً الخ ورد بيتا اللُغز بأصلنا وهما :

ما اسمٌ رباعي ولكنّه فعلٌ لذيذٌ طولُ ترداده

إن سلبوا أوّله يغتدي وصفَ طَروبٍ عند إنشاده

فأجابه شرف الدين بديهاً : يا جامع الفضل البيتين .

ص ١٥٦ س ٥ أصلنا : في القلب منتشراً .

س ١٠ : المتاح بالقلب حاتم .

ص ١٢٥ س ٥ بأصلنا : الشرف الأعلى موضع في ظاهر دمشق يُسدون (١) فيه الحائكُ الغَزْل . وكان له عمٌ يقال له المجد فيه بذاءة وسفاهة يغلب بها الأغرارَ اه ومجدي : وعمّي المجد .

ص ١٢٧ س ١ بأصلنا : ملغزاً في رجل حائك صار قاضياً ببلاد العجم ونسَّجها على ذلك المنوال أيضاً . وخُيّل إلى القاضي حين سمعها أنها مديح وأجازه عليها . وعندنا دَيندورَ .

ص ١٢٧ س ١٢ : أنا ملك الوساع .

ص ١٢٨ س ٧ : للخلائق .

ص ١٧٤ س ١٢ : عندنا وقال أيضاً ملغزاً في الكاركة التي يُستخرج بها ماء الورد وكتب بها على يد الشيخ نجيب الدين الى عفيف الدين بن عَدْلان الموصلي النحوي ، الميمني وأرى الكاركة فارسيَّة أصلها كارگاه موضع العمل أي المعمل .

(١) من باب أكلوني البراغيثُ . عاميّة .

ص ١٦٧ س ١٣ : إذا ما اقتدى ... بحُكمهم .

ص ١٦٧ س ١٤ : إذا ضمَّهم رفتر ، وهو الصواب .

ص ١٥٨ س ١١ : فلستُ أجيبُهُ .

ص ١٧٥ س ٢ أصلنا : الغوا في خدودها [1] .

ص ١٦٨ س ١١ : السُكيت يوم الفخار .

ص ١٥٩ س ٣ : وكشف الستر عيبا .

ص ١٧٢ س ٦ : جمع البيضة بيض بنقصان حرف . و (صيت) مصحف عكسه .

ص ١٧٢ س ٨ : محمد الخوارزمي .

س ١٣ : تنقصنا الفرزدق أو .

ص ١٧٤ س ٢ أصلنا : يُرى كبَرْ .

س ٤ أصلنا : بين نعي

ص ١٦١ س ٢ : أي إذا جُعل اليأس بأساً بالوحدة .

س ١٣ : وعدّهُ سبعة .

ص ١٧٨ س ١ : يليه :

وقال أيضاً لُغزاً في شمخ :

(٢٠) لي حبيب الخد ماشين بالعذار منه ذلك الطرس (كذا)
كأنه الشمس ولكنه تكسف إن قابلها الشمس
لو ان تصحيف اسمه وصله دامت له الراحة والأنس
ثلاثة أحرفه إنما تصحيف معكوس اسمه خمس

---

(١) وفي س ٨ ألا فاسقياني .

وقال أيضاً لغزاً في شِبل : (٢١)

لي حبيب سَمَّوْه باسم عجيب لبس[١] تصحيف عكسه بيقين
باسم شيء تخافه الإنس والجن وتحمي حِماه أسد العرين
نقطوا رأسه بنصف[٢] الثريا ولعانيه راقص الشين (كذا)

وقال أيضاً ملغزاً في الطير المعروف بالقُطرب وهو طير يلمع في الليل (٢٢)
كأنه السراج أو الكوكب :

وما اسم اذا شاهدته ورأيته ترى عجباً من صنع معنى لنصفه
تشاهد منه آيةً في حنادس الدُجى حين يبدو وهي غاية وصفه
يحاكي[٣] الشهاب ثاقباً في سمائه على أرضه فانظر له واضعفه

وقال أيضاً ملغزاً في اسم نصر الله وكتب بها الى الملك الأعظم (كذا) : (٢٣)

وما اسم صباعيّ سعدنا بشخصه ثلاثة أصباع لذي السعد تصحبه[٤]
وان الذي يبقى الفداة من اسمه بلا شبهة يعطيه عيسى ويوهبه
فقل ما اسمه ان كنت تفهم أنه من الله في كل المواطن تطلبه

وقال أيضاً ملغزاً في الخلد : (٢٤)

وما حيوان لا يرى ما يضرّه وينفعه في ليله ونهاره
فقير فلا عين ولا وَرِق له[٥] ولكنّه يَغنَني بحسن اصطباره
له جنّة ماجازها منذ حازها ولكنّها محفوفة بالمكاره
اذا ركبَ الخيل الجياد أذلّها وأهزلها من بأسه واقتداره

---

(١) عكسه لبش ومصحفه (ليس) باليقين .
(٢) بثلاث نقط ويقال ان نجوم الثريا سبعة :
اذا ما الثريا في السماء تعرضت يراها الحديد العين سبعةَ انجم
(٣) الأصل حكى لشهاب ثاقب . والله اعلم .
(٤) الأصل يصحبه .
(٥) الأصل عنده .

هذا مليحٌ جداً . (هنا منتهى الورقة [1] ويتلوها على الآتيه ما سيأتي من دون عنوان) :

(٢٥) وروضة من أديم الحم منْبِتها أزرى(؟) بكلّ حريرحيكَ بالذَّهبِ
تبارك الله كم فيها وحلّ بها من آية أُودعت حقًّا ومن عجب
أكرِمْ بها روضة أبدت زخارفها وما ألمَّ بها صوبٌ من السُّحُب
فأبرزتْ كلَّ لون فائق حَبِر وكلَّ شكل بديع الحسن منتسبْ

(٢٦) وقال أيضاً لُغزاً في أرغش :

وما اسم رباعيٌّ من الترك قَدّه يَقُدّ فؤادَ المبتلَى أبداً قدّ
يَبِيهُ بمعكوس الثلاث من اسمه وتصحيفه من وافر أسود جَعْد
ترى الصبح يبدومن أسرّة وجهه على فرع ليل طائل(؟) لاح مسوَدّ

تمّ فصل الألغاز .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصل الخامس

(المطبوع ص ١٧٩) في الأهاجيّ التي وُجدت له عفا الله عنه ، ولم تكن قصده بها الغيبة والثلْب ولا المَعيبة والسَّبّ . لكنه كان يرى المعنى يشتهي نظمَهَ فلا يتأتّى له إلاّ في الهجو فينظمه مُداعبةً مع أنه لم يُفحِش في الهجو . وأنا أسأل الله له العفو . ودليل ذلك قوله في بعضهم :

ما إن مدحتك أرتجي لك نائلاً فحرمتني فذممتُ باستحقاق

البيتين ص ٢٠٧ .

(١) أي يمكن أن يتخلل الورقتين خرم .

قال يهجو جماعة من أهل دمشق بقصيدة سماها مقراض الأعراض (ص ١٧٩) اه في مرآة الزمان ٨ × ٦٩٦ حيدرآباد أنها في ٥٠٠ بيت . وللموفق ترجمة طويلة في مرآة الزمان ٨ × ٤١١ أيضاً .

ص ١٨٠ س ٦ : الضب يفرّ من الماء ومن أمثالهم : بيني وبينه كما بين الضبّ والنون ، (الحوت) .

ص ١٨٠ س ١٠ : للخليط .

ص ١٨٢ س ١ : كلية السر (كذا) .

س ٥ : من جَبَل . و (من حبل) من خطأ الطابع . ورواية البيت عندنا كرواية الصلب .

ص ١٨٢ س ٨ : من حادث ومن خطب .

ص ١٨٣ س ٢ : أو تجشم ما وراءهم .

ص ١٨٤ س ٤ : مُحال بالضمّ (الميمني) .

ص ١٨٤ س ٦ : والأب والجَدّ .

س ٧ : كان القاضي الفاضل أحد .

س ٨ : نادبت بالمقترين ويحكو البيت .

حدثني بعض من كان يصحبه أن هذه الأبيات التي هجا بها أهل دمشق لم يكن له فيها غرض ولا أَرَب ولم يخطر بباله ، ولا في هؤلاء المذكورين أحد كان بينه وبينه ما يوجب الهجوَ . وإنما الباعث على ذلك أنه لما كان ببلاد العجم سمع رجلاً ينشد الشريف ابن (١) الهبّارية العباسي قصيدة يهجو بها

(١) توفي سنة ٥٠٤ ه كان خبيث اللسان هجّاء يربي فيه على ابن عنين وغيره وله الصادح والباغم وانظر الوفيات (محمد بن محمد) ومرآة الزمان ٨ × ٥٨ والقصيدة هنا مصحّفة غاية التصحيف ووقفت عليها بعد لأي في تاريخ آل سلجوق للعماد مصر ص ٦٠ وقد أسقطت منها ٦ أبيات لخلل فيها .

أهل مدينة من بلاد العجم نكتبها منه ثم عمل هذه على حسنها (كذا) وحذا فيها على حذوها ونسج على منوالها .

وقصيدة الشريف ابن الهبّارية أولها :

لو أنّ لي نفساً صبرتُ [1] لما ألقى ولكن ليس لي نفسُ
مالي أقيمُ لدى زعانفة شُمٌّ القرون أنوفُهم فُطس
في [2] مأتمٍ من سوء فعلهم ولهم بحُسن مدائحي عُرسُ
ولقد غرستُ المدحَ عندهم طمعاً فحنظلَ ذلك الغرسُ
الشيخ عيّنهم وسيدهم خَرِف لعمرك باردٌ جِبْس

يعني بالشيخ الوزير الأعظم نظام [3] الدين الكُنْدُري وزير السلطان ملك شاه .

كالجاثليق على عُصَيْبته يعدو [4] ودار خلفه القَسُّ
والناصح [5] الفندور حتى إلى جَنْبِ الوزير كأنه جِعْسُ
وأبو الفتوح [6] وأنت تعرفه وسهيل مثل الكلب يندسّ
وخليفة الريّ الخبيث له بالتيس قُرْطُ القرب والأُنس
وأبو الغنائم في تبظرمه يعلو وليس ليومه أمس

يعني بأبي الغنائم [7] تاج الملك بن رئيس الرؤساء .

---

(١) العماد : صبرتُ .
(٢) العماد : لي مأتم . واراه الصواب .
(٣) هو نظام الملك قوام الدين وقتل سنة ٤٨٥ هـ منشيء المدارس . وأما الكُنْدُري (وكندر كبرث قرية بنواحي نيسابور) فهو عميد الملك أبو نصر وزير طغرلبك اول ملوك السلاجقة المقتول سنة ٤٥٩ هـ خرِف لأنه ناهز الثمانين .
(٤) من العماد واصلنا : دابر خلفنا كذا . والنسختان فيها سقم .
(٥) منه واصلنا : والناصح الهندروجي كذا . و (حتى) تصحيف .
(٦) الحكيم ابو الفتوح المتوفى النصراني الطوسي من اصحاب نظام الملك لتتمة الصوان رقم ٢٠ وحواشيها ص ١٨٥ وابن الاثير ٤٧٧ .
(٧) الوزير بعد نظام الملك صهره وكان السببّ في قتله قتله غلمان نظام الملك شرّ قتلة سنة ٤٨٦ وهو ابن ٤٧ سنة . المعروف بابن دارست .

والرَّوزنيّ (١) فبــارد مُـمِـجٌ كالموت فيه البَرْد واليُبْس
[و] محمد القصّـابُ فَقحتهُ لا بور قصّابيْ نَسا ُترس

محمد القصّاب وهو عميد الحضرتين (٢) محمد بن اسمعيل المعروف بعميد خراسان .

وُحريبـة الإسكاف خازنه رِخو العِجان كأنه قلْنس (٣)

هو أبو حرب الخزّان كان أقرع (٤) .

قد صار مال الأرض في يده عفواً وقيمة (٥) رأسه فلس
هذي أمور الملك أجمعهـا فسعوده (٦) بسعودهم نحس
ولقد هممت ُبأن أفارقهم وتجدّبي (٧) عَيرانةٌ عَنْس
لكن ثناني عن فراقهم علمي بأن الناس قد خسُّوا
عُمَرٌ (٨) أروم وأجتديه لقد عَمّ البلاء وأشكل اللَّبْس

هو كمال الدين عمر بن محمد الأديب الطغرائي .

متخفّف أي أنه دَيِثٌ وأخف من حركاته قُدس (٩)
هـذا وكُبرائين عنـدهمو كالكلب تخبٌ بارد بخْس (١٠)

---

(١) ابو المختار كمال الملك ، العماد ٥٨ .
(٢) محمد بن منصور ابن النَّسَوي عميد ُخراسان المتوفي سنة ٤٩٤ هـ المنتظم ج ٩ رقم ١٩٨ . وأبور الاصل لابوار .
(٣) الأصل قبس . والقلس حبل السفينة الضخم .
(٤) الأصل قرع أو نزع .
(٥) الأصل فـــه .
(٦) العماد : فسعودها من اجلهم .
(٧) الأصل ويجدي عيرانه عيس .
(٨) العماد : من ذا أروم .... عَمّ البلاءُ وأرى هنا غلطاً وعند العماد : ص ٥٦ هو كمال الدولة ابو الرضي فضل الله بن محمد صاحب ديوان الانشاء والطغراء قرين لنظام الملك ومؤيّده . وأرى ابن نبهان اخطأ في تسميته .
(٩) جبل بنجد .
(١٠) الأصل غير واضح ومأكوله . وعند العماد : غِس .

كوهرائين [١] هو الأمير سعد الدولة الخادم شِحْنةُ بغداد المشكان ·

رجل ولكن ماله ذَكَرٌ أنثى ولكن ما لها كُس
وأبو شجاع في وسادته كالخَرْس [٢] لكن ما له جَرْس

أبوشجاع [٣] هو الوزير في زمان الإمام المستنجد (صوابه المقتدي) رضي الله عنه ·

يبني وينقُضُ ما يشيِّدُه فكأنّه متبخترٌ بفسو
أبني جَهير [٤] ارتجي وهو بالأمس الأقرب سوقةٌ نُبس
أعلى أمورهم اذا نفق الطرّيخُ [٥] عنهم أو غلاَ الدِبْس
والله لو ملكوا السماء كما عرقوا ولا امتزّوا ولا انخشوا [٦]
أم باب [٧] إبراهيم أقصده هيهات خاب الظنّ والحدْس
قد كان محبوساً وكان له جُودٌ فزال الجُودُ والحبْس
أم أعتفي ابنَ أخيه مرتجياً علَقاً له من ظهره تُرْس
أدمتْ أيورُ الترك فقحتَه حتى ظننّا أنه تُرس (كذا)

(يتبع) كراتشي عبد العزيز الميمني

---

(١) ترجم له في المنتظم ج ٩ رقم ١٧٣ المتوفى سنة ٤٩٣ هـ والمشكان لعله لقب وانظر چهار مقاله بالعربيّة حواشي القزويني ١٣٩ . وفي بلدان ياقوت قرية .

(٢) بالفتح ويكسر الدَنّ والأصل الجرس ، وجَرْس صوت ، وعند العماد : فى وزارته كالخرس لا بل دونه الخرس .

(٣) هو وزير المقتدي صاحب ذيل تجارب الأمم المطبوع مدحه الحريريّ ومات بالمدينة سنة ٥١٣ هـ .

(٤) فخر الدولة أبو نصر وزير القائم والمقتدي ومات سنة ٤٨٣ هـ وابنه عميد الدولة وزير المقتدي قبل أبي شجاع وختن نظام الملك أبو منصور المتوفى سنة ٤٩٣ هـ المنتظم ج ٩ رقم ١٨٢ . وزعيم الرؤساء أبو القاسم علي وزير المستظهر .

(٥) سمك صغار مملح .

(٦) العماد : ولا انجشّوا .

(٧) من العماد وأصلنا : دار ابراهيم أقصدها .

الزجّاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

- ٤ -

مادة كتاب الإيضاح

يتألف كتاب الإيضاح من مقدمة وثلاثة وعشرين باباً يضاف اليها مسائل صغيرة ألحقها الزجاجي في آخره .

أما المقدمة فيتعرض الزجاجي فيها لموضوعات كثيرة كوجوب العناية بالتأليف وسبب وضعه للكتاب وطريقة معالجته للموضوع وسبب تسميته بالإيضاح ...

وأما الأبواب الثلاثة والعشرون فلن نعرضها هنا كما عرضها الزجاجي في كتابه أبواباً عامة في كل منها نصيب للاسم والفعل والحرف فإذا هو يجمع في باب واحد مسائل متنوعة وبحوثاً مختلفة وحّدت بينها المصطلحات ... ولكنا سنعرض مادة الكتاب على أساس تقسيم البحوث التي تناولها أقساماً أربعة ؛ فنتحدث في القسم الأول عن الاسم ، ونورد في هذا القسم كل ما له صلة بالاسم من كل أبواب الكتاب . ونجعل القسم الثاني للفعل ، والثالث للحرف ، وأما القسم الرابع فنعرض فيه للمسائل العامة التي وردت في الكتاب كمسائل الإعراب والنحو وغير ذلك .

١ — الاسم

تعرض الزجاجي في كثير من أبواب «الإيضاح» لمسائل تختص بالاسم كتسمية الاسم وسببها ، وحدّ الاسم واختلاف النحويين فيه وتأثرهم بالمنطق ، واستحقاق الاسم للإعراب ، ومكان الإعراب فيه ، ومرتبة الاسم من حيث التقدم والتأخر بإزاء الفعل والحرف . وخفة الاسم ، وامتناعه عن الجزم ، وتثنيته وجمعه . أما الحديث عن سبب تسمية الاسم فيورد فيه حجة القائلين بأن كل لفظ من اسم أو غيره انما هو «فعل» للمتكلم الناطق به . ثم يبين ان الاسم اكتسب هذه التسمية لأنه دال على المسمّى وسمة له .

وأما حدّ الاسم فقد أتى به الزجاجي حدّاً نحوياً فقال «الاسم ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيّز الفاعل أو المفعول به» وتعرّض لما حدّه به النحاة وانتقد ما كان جارياً من حدودهم على أوضاع المنطق ، وبيّن أن غرض المنطقيين من حدهم يختلف عن غرض النحويين ، ومن هنا كنا نجد بعض الحدود صحيحة على أوضاع المنطق وهي على أوضاع النحو غير صحيحة ولا مستقيمة .

وناقش أصحاب الحدود المنطقية في النحو مبيناً خطأهم . ثم استعرض حدود النحاة للاسم استعراض الناقد فأورد تعريفات كل من الأخفش الأوسط وابن السراج وابن كيسان والمبرد للاسم فعاب بعضها ونقضه ، واعتذر لبعضها بأن صاحبها لم يرد الحد على الحقيقة وانما أراد بحده التقريب على المبتدئين كما هو الشأن عند المبرد الذي اعتذر الزجاجي له ودافع عنه .

وتحدث عن الإعراب وبيّن العلة في وقوعه آخر الاسم دون أوله ووسطه . فاستعرض ما قاله النحويون كأبي بكر بن الخياط والمبرد وغيرهما ، وكان يورد القول وما اعترض به عليه ثم يحكم على أقوالهم بأنها كلها أقوال مقنعة .

وأما استحقاق الاسم للاعراب فقد ذكر فيه رأي الخليل وسيبويه ونحاة البصرة ، وأورد حجتين لهم تثبتان أن الاسم هو المستحق للاعراب دون الأفعال والحروف المستحقة للبناء ، إلا ما عرض له من الأسماء علة منعته من الإعراب فدخل في باب المبنيات . ثم أورد أقوال الكوفيين وقدم حججهم . ولكنه وقف قبل تفصيل أدلتهم لينبه على أن هذه الحجج على ثلاثة أقسام ، فمنها ما كان مسجلاً في كتب البصريين والكوفيين فنقله بغير ألفاظهم لصعوبة فهمها . . . ومنها ما اخترعه من عنده ولكن على أصول القوم ومقاييسهم . ومنها ما تلقاه عن أساتذته وشيوخه مما لم يودعوه كتبهم . ويقطع الحديث هنا ليذكر لنا أساتذته الذين أخذ عنهم فيعددهم ذاكراً ما يميل اليه كل منهم من المذاهب وفنون العلم . ويعود بعد ذلك الى ما كان بصدده من ايراد حجج الكوفيين ومناقشتها .

ويتعرض الزجاجي في بعض الأبواب لمسائل نظرية تخص الاسم كما في الباب الحادي عشر وهو باب القول في الاسم والفعل والحرف وأيها أسبق في المرتبة والتقدم ، فيصدّر الباب بقول جمهور النحاة من بصريين وكوفيين ، وهو أن الأسماء قبل الأفعال وقبل الحروف ويشرح هذا القول ويورد الحجج ضده . ثم يعود على هذه الحجج فيوهيها ويبين مغالطتها وينتهي من ذلك الى إثبات رأي الجمهور .

ويكتفي في بعض الأبواب بعرض الأقوال المختلفة دون أن يبين رأيه . كما هو الأمر حين تحدث عن العلة في خفة الاسم وثقل الفعل . فأورد قول البصريين ووضحه ثم عرض لأقوال الكسائي والفراء وهشام بن معاوية وثعلب فذكرها دون تعليق .

ومن المسائل التي عرض لها في باب الاسم ، هذه المسألة التي طال فيها نفسه وهي علة امتناع الأسماء من الجزم ، ابتدأ هذا الباب بقوله ان لسيبويه في ذلك قولين ثم قدم أحدهما لأنه المعتمد عند النحويين فشرحه ، وأتى بثلاثة

ردود عليه ثم دفع هذه الردود بقوة ، وانتقل بعد ذلك الى القول الثاني لسيبويه وأعقبه بآراء الكوفيين وبعض البصريين ممن خالف سيبويه ورأى غير رأيه .

وكان آخر ما تحدث عنه الزجاجي في باب الاسم التثنية والجمع ، فعرف التثنية وبين كيفيتها ، وأوضح اختلافها عن الجمع . وتحدث عن الجمع بأنواعه السالم منه والمكسر ، وما كان منه للقليل وما كان منه للكثير .

وأورد بعد ذلك مسائل فرضية ، وأسئلة نظرية كقوله : لم كان رفع الاثنين بالألف وهي المجانبة للفتح ولم يكن بالواو ، ولم لم تخص الألف برفع الجمع والواو بتثنية المرفوع ؟ ولم ضم النصب الى الخفض دون أن يضم الى الرفع أو دون أن تجعل له سمة خاصة به ؟ ؟ وأجاب عن كل ذلك .

٢ — الفعل

تناول الزجاجي الحديث عن الفعل في أكثر أبواب الكتاب ، فتحدث عن : سبب تسمية الفعل ، وحده ، وما قيل في تقدمه على المصدر وتأخره عنه ، واستحقاقه للبناء ، ومرتبته ازاء الاسم والحرف ، ومراتب الأفعال فيما بينها ، وفعل الحال ، وثقل الفعل ، وامتناعه من الخفض ، وعدم الإضافة اليه .

أما سبب تسمية الفعل فقد بين الزجاجي أنه ان كان كل من الاسم والفعل والحرف يستحق أن يسمى بـ « فعل » لأنه فعل المتكلم ، فان الفعل أحقها بهذه التسمية ، وذلك لأن الفعلية أصابته من جهتين ، فكان فعلاً للمتكلم به من جهة ، وفعلاً لفاعله من جهة ثانية . وأما حد الفعل فقال انه - على أوضاع النحو - ما دل على حدث وزمان ماض أو مستقبل ، وفسر الحدث بالمصدر ، وشرط اقترانه بالزمان ليكون منها الفعل ، فأما ان دل على الحدث وحده فهو المصدر ، وان دل على زمان فقط فهو الظرف . وذكر أن قوله هذا لا يعدو أن يكون تفسيراً لقول سيبويه .

وأتى بحد آخر وضعه بعض النحويين للفعل ، فنقضه ثم تعرض لما يزعم الكوفيون أنه فعل دائم فقال انه محال .

وتحدث في باب آخر عن المسألة الخلافية المعروفة حول الفعل والمصدر وأيها مأخوذ من صاحبه . فأورد قول سيبويه ووضحه، وألحق به قول الفراء والكوفيين ، ثم عاد فذكر أدلة البصريين وأثبتها ، ورد على أدلة الكوفيين وبين أنهم لم يكونوا فيها على صواب ، وختم الحديث بذكر محاورة جرت بينه وبين ابن الأنباري النحوي الكوفي أظهر لنا فيها عناد الكوفي واصراره على التمسك برأيه .

وأما استحقاق الفعل للبناء فقد ذكر في الحديث عن أقوال البصريين وعلى رأسهم سيبويه ، ثم عرض لأقوال الكوفيين الذين يرون أن أصل الإعراب للأسماء والأفعال جميعاً وأما البناء فالحرف فقط ، وأورد حججهم في ذلك وردها . وختم الباب بتصويب رأي البصريين .

وتناول الحديث عن مرتبة الفعل بالنسبة الى الاسم والحرف فذكر اتفاق البصريين والكوفيين على أن الفعل بعد الاسم وقبل الحرف ، وناقش هذا القول وانتهى الى اثباته وتأييده . وأما تقدم الأفعال بعضها على بعض، فجعل السبق فيه للمستقبل فالحال ثم الماضي .

وأفرد باباً للحديث عن فعل الحال ، بين فيه أنه ليس هو الفعل الذي يسميه الكوفيون بالفعل الدائم ، فهذا محال عنده ، ولكن فعل الحال هو الفعل المتكون بين الفعلين المستقبل والماضي ، وذلك أن المستقبل هو الفعل الذي لم يقع بعد وان الماضي هو الفعل الذي مضى عليه زمانان اثنان : زمان وقوعه ، وزمان الإخبار عنه ، فأما الفعل الذي يتكون في حال خطاب المتكلم ، فلم يخرج الى حيز المضي ولا هو في حيز المنتظر ، فذلك هو فعل الحال . وهنا يذكر احتجاجاً يرد على البصريين في فعل الحال ، وهو أنه ما دام فعلاً مستقلاً فلماذا

لم يكن له لفظ خاص يعرف به ؟ ويرد على ذلك بأن قوة الشبه بين المضارع والاسم هذه القوة التي منحت الفعل الإعراب هي أيضاً القوة التي جعلته بلفظ واحد ويقع لمعنيين ، كما كان من الأسماء ما يقع لأكثر من معنيين . وأما الماضي فليس له من شبه الاسم ما يمنحه شيئاً من قوته فبقي على حاله .

وتعرض في موضع آخر لعلة ثقل الفعل فذكر رأي بعض البصريين والكوفيين في ذلك . وكان آخر ما تحدث عنه مما له صلة بالفعل ، امتناع الأفعال من الخفض ، وقد أفرد لذكر العلة في ذلك باباً خاصاً صدره بقول سيبويه ثم شرح هذا القول شرحاً مفصلا ، تعرض فيه لذكر امتناع الأفعال من أن تضاف أو أن يضاف اليها ، وأورد في ذلك أسئلة كثيرة وشواهد متباينة ، ثم رد على الأسئلة وخرّج الشواهد بما يلائم الأصل ، ولم يفته أن يلتفت الى أسماء الزمان خاصة ، ليتحدث عن جواز اضافتها الى الأفعال أو عدمه ، فقد خصها بحديث مطول أتى فيه على أقوال النحاة الذين يرون جواز هذه الإضافة وذكر شواهدهم ثم وقف من أقوالهم وشواهدهم موقف الناقد المفند يردّ ويرفض ويؤوّل .

٣ — الحرف

صحب تسمية الحرف ، وأضربه ، وحد كل منها . واستحقاقه للبناء ومرتبته بالنسبة الى الاسم والفعل ، هو ما تحدث عنه الزجاجي في كتابه ، مما له صلة بالحرف فكان نصيب الحرف في الكتاب دون نصيب كل من تسمية الاسم والفعل .

يرى الزجاجي أن الحرف حد بين الاسم والفعل ، ورباط بينهما ، لذلك سمي حرفاً . وحرف الشيء حده ، ويقسم الحروف ثلاثة أقسام هي حروف المعجم التي تتألف منها الكلمات . وحروف هي الكلمات نفسها . وحروف المعاني .

ويعرف كلاً منها فيقول ان حروف المعجم هي الأصوات التي لا تدل على معنى من معاني الأسماء والأفعال ، ولكنها أصل تركيبها . والحروف الكلمات هي أبعاض الكلم ، وأما حروف المعاني فهي التي يعنى بها النحويون والتي جاءت لتدل على معان في غيرها . ويختم الزجاجي حديثه عن الحد باستعراض نماذج قليلة من حدود النحويين والتعليق عليها بما يدل على عدم اقتناعه بها إذ يقول « وهذا وصف للحرف صحيح ، وليس بحد له » . وأما استحقاق الحرف للبناء فيوضح الزجاجي رأي سيبويه فيه ، ويورد حجج البصريين في تأييده ، واثبات أن الحرف كالفعل مستحق للبناء وهي حجج مستندة الى كون الفعل مستحقاً للبناء كقولهم « واذا كانت الأفعال غير مستحقة للاعراب لأنها عوامل فحروف المعاني من الإعراب أبعد » .

ولم يذكر للكوفيين في الموضوع أكثر من موافقتهم على الأصل القائل بأن الحرف حقه البناء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وآخر ما تعرض له الزجاجي من مسائل الحرف مرتبته في السبق والتقدم بالنسبة الى الاسم والفعل . وهي المسألة النظرية التي عالج فيها ترتيب الأسماء والأفعال والحروف وتصنيفها وفق الأسبقية والتقدم . وقد جعل مرتبة الحرف أخيرة بعد الاسم والفعل ولكنه بادر الى الاحتجاج بأنه ما دام الحرف عاملاً في الاسم والفعل ، وما دام العامل قبل المعمول فكيف يكون الحرف بعدهما ؟ وأنهى الحديث برد هذه الحجة وإبطالها ، بل اتهامها بأنها مغالطة . وأنها لا تنقاس على العلة ومعلولها ، ولجأ الى الواقع فضرب منه مثلاً بسيطاً فقال اذا كان النجار قبل الباب الذي نجره فإن هذا لا يعني أنه قبل الخشب الذي صنع منه الباب ، وكذلك الحروف التي هي ـ وإن لم تكن أجساماً ـ سابقة لعملها فقط ، وليست سابقة لما عملت فيه ، ان الحروف قبل الرفع والنصب والخفض والجزم ،

هذه التي هي كلها من آثارها ، ولكنها ليست قبل المرفوع والمنصوب والمخفوض والمجزوم ·

٤ — المسائل العامة

من المسائل العامة التي تعرض لها كتاب ايضاح علل النحو المسائل الآتية : اختلاف الحدود وعلته ، وعلل النحو ، والإعراب ولماذا دخل الكلام ؟ وهل هو حركة أم حرف ؟ وما معنى الرفع والنصب والجر ، والسبب في تسمية النحو ، وفائدة تعلمه · والفرق بين النحو والإعراب واللغة والغريب · وعلة دخول التنوين في الكلام ·

الى جانب مسائل نظرية قائمة على الفروض كالفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه · وكالإعراب والكلام وأيهما أسبق وغير ذلك مما أشرت اليه في أقسام الاسم والفعل والحرف كالتفاوت بينها في المرتبة والتقدم ، وتفاوت الأفعال فيما بينها في التقدم ، وعلة امتناع الأسماء من الجزم وامتناع الأفعال من الخفض ··· ولم كان رفع الاثنين بالألف ولم يكن بالواو ·· ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اختلاف الحدود :

يوضح الزجاجي لماذا تختلف الحدود بعضها عن بعض ، مع أن الحد هو ما دل على طبيعة الشيء الموضوع له ، فيقول ان هذا الاختلاف فيما بينها ليس اختلاف تضاد وتنافر وان وقع شيء من هذا كان خطأ في الحد وفساداً في المحدود ، وانما هو اختلاف في اللفظ · ثم يبين أن الاختلاف في الحدود قائم حتى بين الفلاسفة أنفسهم وهم أعرف الناس بالحدود ويضرب أمثلة كثيرة عن اختلافهم في حد الفلسفة ذاكراً أن هذا ليس من النحو في شيء ولكنه ما دام يبحث بعقلية أصحاب الحدود فلا بد من مجاراتهم · وثمة شيء آخر يعزو

اليه الزجاجي اختلافهم في الحدود وهو أن لكل منهم غرضاً يقصد اليه في حده ، فمنهم من أراد التقريب والافهام ، ومنهم من أراد الشمول والحصر ، ومنهم من أراد الحد على الحقيقة ، واختلاف الأغراض أدى بهم الى اختلاف الحدود .

علل النحو :

أول ما يشير اليه الزجاجي في باب علل النحو هو أن هذه العلل ليست كالعلل الفلسفية من حيث كونها موجبة للمعلول ، وأنها متى وجدت وجد بالضرورة ، وانما هي علل مستنبطة من المعلول بعد وجوده .

ثم ينتقل الى ذكر أقسامها فيجعلها ثلاثة : تعليمية ، وقياسية ، وجدلية نظرية . فالعلل التعليمية هي التي توصل الى تعلم كلام العرب . كأن تقول : العلة في نصب « زيداً » من قولنا « ان زيداً قائم » هي مجيء « ان » قبله .

والعلل القياسية كأن نسأل عن العلة في نصب « ان » لزيد في قولنا « ان زيداً قائم » فنقول ولم وجب أن تنصب ان الاسم ؟ ويكون جوابنا هو العلة القياسية القائلة ان « ان » وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي الى مفعول فحملت عليه وأعملت أعماله ، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول به لفظاً . والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظاً . وهي تضارع الفعل الذي قدم مفعوله على فاعله نحو ضرب أخاك محمد . وأما العلل الجدلية النظرية فكل ما يعتل به في باب « ان » بعد هذا الذي سبق ، كأن يقال : فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال ؟ وبأي الأفعال شبهتموها ؟ ولم لم تشبهوها بما جاء على الأصل من تقديم الفاعل على المفعول ؟ فكل علة يعتل بها المسؤول في الإجابة عن شيء من هذه الأسئلة فهي علة داخلة في باب النظر والجدل .

وبعد أن ينهي الزجاجي حديثه عن أقسام العلة يورد خبراً عن الخليل بن أحمد وأثره في علل النحو . فيقول ان الخليل سئل عن العلل التي يعتل بها أكانت

https://archive.org/details/@sattarmdh

من اختراعه وابتكاره أم أنه أخذها عن العرب . فكان جوابه طريفاً يدل على أنه كان يخترع العلل ويأتي منها بما كان يعتقد أن العرب لاحظته وان لم تصرح بأنه العلة ، وكان آخر جوابه قوله « فان سنح لغيري علة لما عللته من النحو ، هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها » ويعلق الزجاجي على ذلك بقوله « وهذا كلام مستقيم ، وانصاف من الخليل رحمة الله عليه » . وينهي حديثه عن العلل بقوله ان علل النحو كافة قائمة على هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرها .

الإعراب :

يعالج الزجاجي في كتاب الإيضاح عدة مسائل تتعلق بالإعراب ، وسنعرض هذه المسائل عرضاً مقرباً وبالترتيب التي أوردها به .

الإعراب والكلام أيهما أسبق :

يحكم الزجاجي بسبق الكلام الإعراب ، فالاسم أو الفعل موجود ذو دلالة معينة ولا تزول دلالته سواء أكان معرباً أو غير معرب . والإعراب طارىء على الكلام لمعنى يعتوره . ولكن هل يعني ذلك أن الكلام نطق به زماناً غير معرب ثم أعرب ؟ الزجاجي يرفض ذلك ويقول ان العرب نطقت بالكلام معرباً لأول وهلة . فان قيل وكيف حكمتم بسبق أحدهما ما داما وجدا معاً ؟ فيقول ان الأشياء ، وان لم تكن توجد الا مجتمعة ، لتستحق التقديم والتأخير . ويمثل لذلك بقوله ان السواد عرض في الأسود ، والجسم أقدم من العرض بالطبع ، والعرض قد ينفصل عن الجسم ، فنقول ان الأسود قبل السواد مع أننا لم نر الجسم الأسود منفصلاً عن سواده ، ولا رأينا السواد قط عارياً عن الجسم ... ومثل ذلك قولنا ان الأسماء قبل الأفعال مع أنها وجدت معاً في النطق .

وعلى كل فقد أجاز بعض العلماء أن تكون العرب نطقت أولاً بالكلام غير معرب ، ثم رأت اشتباه المعاني فأعربته .

الإعراب وعلة دخوله في الكلام :

لو اختفى الإعراب لالتبست المعاني وتشاكلت الألفاظ إذ الإعراب علَم المعنى في اللفظ وبه نهتدي الى معنى الفاعلية أو المفعولية أو الإضافة ... هذا موجز رأي النحويين في علة دخول الإعراب في الكلام عرضه الزجاجي مع التفصيل والتمثيل .

ويُستثنى قطرب من النحويين لأنه لا يرى رأيهم . بل يرى أن اتفاق الإعراب في زيد من قولنا « ان زيداً أخوك » . ولعل زيداً أخوك . وليت زيداً أخوك » لم يدل على اتفاق المعنى . وان اختلاف الإعراب في قولنا « ما زيد قائماً » وما زيد قائم » لم يدل على اختلاف المعنى . ان قطرباً يرفض رأي النحويين ويقول ان العرب لجأت الى الاعراب للتخلص من التقاء الحروف الساكنة ، وليعتدل الكلام ما بين حركة وسكون .

ويرد الزجاجي قول قطرب بما رد به النحويون من أنه لو صح زعم قطرب لكانت الحركة الواحدة مجزئة للتخلص من التقاء السواكن . ولكنا رأينا كثيراً من جر الفاعل ونصبه ورفع المفعول وجره ... ولما كنا رأينا الاعراب يسير في كلامهم على هذا النسق من الترتيب والاطراد .

الإعراب أحركة هو أم حرف ؟

مذهب البصريين أن الإعراب حركة وليس حرفاً ، إذ لو كان حرفاً لما دخل على حرف . وأما الكوفيون فيرون أن الإعراب يكون حركة فيدخل على حرف ، ويكون حرفاً فيقوم بنفسه . وقد يكون الإعراب بعد ذلك

سكوناً (كما في المضارع الصحيح) أو حذفاً (كما في المضارع المعتل) .
وينبه الزجاجي على أن الإعراب قد يكون حرفاً ـ عند سيبويه ـ في موضع واحد ولعلة نسوق اليه ، وهذا غير ناقض للأصل . أما هذا الموضع فهو الأفعال الخمسة التي ترفع بثبات النون ، وتنصب وتجزم بحذفها . وعلة ذلك أنه لو جعلت النون حرفاً ثابتاً دوماً ودخلته حركات الإعراب ، لوجب إذا وقع عليه السكون أن تحذف الألف أو الواو أو الياء من قبله ، فتلتبس المعاني لضياع الضمائر الساقطة ، لذلك جعلت النون علم الرفع ، فوجب حذفها عند الجزم ، لأن الجزم يسكن المتحرك ويحذف الساكن .

وأما النصب فقد ضم في هذا الباب الى الجزم ، كما ضم في تثنية الاسم وجمعه الى الجر ، لأن الجزم في الأفعال نظير الخفض في الأسماء .

ويرد الزجاجي بعد ذلك بما يحتج به أو يسأل عنه كقولهم لماذا لم تكن الألف والواو والياء في الأفعال الخمسة هي حروف الإعراب ؟ وكيف جاز أن يجيء الفاعل في مثل « يفعلان وتفعلون » قبل حركة الإعراب ؟

الإعراب ولم وقع في آخر الاسم دون أوله ووسطه ؟

سبق أن أشرنا إلى هذه المسألة في قسم الاسم [1] فلا لزوم لإعادتها هنا .

معنى الرفع والنصب والجر :

يشرح الزجاجي معنى هذه العلامات الأربع التي هي الرفع والنصب والخفض والجزم عن طريق اللغة فيقول انما سمي الرفع رفعاً لأن المتكلم به يرفع حنكه الى الأعلى حين النطق به ، وسمي الفتح فتحاً لأن المتكلم يفتح فاه ، ويباعد بين حنكيه حين النطق به ، وأما الجر فسمي بذلك لأنه يجر ما قبله ليوصله الى

(١) انظر ص ٦٢ من هذا البحث .

ما بعده نحو مررت بزيد فالباء أوصلت مرورك الى زيد، ومثله المال لعبد الله، وهذا غلام زيد . ولا ينسى الزجاجي أن جماعة من الكوفيين يسمون الجر خفضاً فيخرج معناه بذلك عما علله به من أمر الجر فيقول ان هؤلاء قد لاحظوا انخفاض الحنك الى الأسفل وميله الى احدى الجهتين (عند النطق بحركة الخفض) .

وأما الجزم فمعناه القطع ، وكأنه سمي بذلك لقطعه الإعراب عن الكلمة، هذا هو الأصل فيه . ثم أطلق على حذف الحرف أيضاً لأنه يشبه حذف الحركة ، إذ كلاهما حذف . ويورد الزجاجي بعد ذلك كلاماً ينسبونه الى المازني . فيشرحه ثم يرده ويثبت شكه في نسبته اليه .

العلة في تسمية النحو :

يروي الزجاجي تحت هذا العنوان ما شاع من خبر أبي الأسود الدؤلي ، وما قيل حول وضعه للنحو ، وسبقه الى ذلك ، وأنه قال : انحوا هذا النحو أي اقصدوه ، وان النحو ـ على ذلك ـ هو القصد ، ثم غلب هذا الاسم على علم العربية حتى عرف به .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فائدة تعلم النحو :

يرى الزجاجي للنحو فوائد كثيرة ، منها أنه يوصل الى التكلم بكلام العرب غير مبدل ولا مغير ، ومنها تقويم كتاب الله وفهم الحديث النبوي ... ويورد بعد ذلك ما أثر من أقوال تحث على تعلم العربية وتبين فضلها ، فيروي عن ابن عباس وأبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب . ثم يقول ان الشعر ـ وهو ديوان العرب ـ لا تمكن اقامته ولا فهمه إلا بمعرفة النحو . ويختم حديثه بالرد على من احتج لعدم ضرورة النحو بفهم الكلام العامي غير

المعرب فيقول تما يكون ذلك في المتعارف المشهور ولو التبس على المرء معنى من المعاني وأراد ايضاحه لم يمكنه ذلك بغير معرفة الإعراب .

الفرق بين النحو والإعراب واللغة والغريب :

أما النحو فقد تحدث عنه في باب «علة تسمية النحو» ويزيد هنا أنهم قد يطلقون على النحو اسم الإعراب كما يطلقون على الإعراب اسم النحو سماعاً لأن المقصود منهما علم واحد . وأما الإعراب فهو البيان ، ولما كانت الحركات تبين عن المعاني فقد سميت به . وأما اللغة أو اللسن فهي ما يتكلم به القوم . وما قل سماعه منها ولم يعبر في غير أفواه الخاصة فهو الغريب .

التنوين وعلة دخوله في الكلام :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يدخل التنوين في الكلام لمعان ثلاثة :

١ — أن يكون للفرق بين الخفيف من الأسماء وغير الخفيف ، فالتنوين ثقيل لا يدخل على ثقيل . وجعله سيبويه فارقاً بين المتصرف الخفيف من الأسماء وغير المتصرف . وجعله الكوفيون فارقاً بين المفرد والمضاف .

٢ — أن يكون عوضاً عن محذوف من الكلمة ، فقولك «جوار» مثلاً أصلها جواري فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فنقص بناء الكلمة فعوضت التنوين ، وكذلك في حال الجر . وأما في النصب فتبقيه على حاله لخفة الفتح .

٣ — أن يكون فرقاً بين المنكر والمعرف من الأسماء المنتهية بالزوائد نحو : عمرويه وسيبويه ، لأنهم أجروا هذه الألفاظ مجرى الأصوات فمنعوها الإعراب وبنوها على الكسر . فإذا أرادوا تنكيرها نونوها كما فعلوا في حكاية الأصوات .

عرض تاريخي :

كانت نظرتنا الى كتاب الإيضاح فيما سبق نظرة عامة استعرضنا من خلالها المواد التي احتوى عليها أو تألف منها . ومن حق الزجاجي علينا بل من حق الكتاب نفسه أن ننظر اليه نظرة خاصة ، لا نتجه بها الى المادة العلمية المعروضة فيه ، وانما نوجهها الى تطور هذه المادة أو تاريخها . ومن الغبن للزجاجي أن ننظر اليه من خلال كتابه على أنه نحوي فقط ، وهو الذي كان فيه نحوياً يبحث مسائل النحو ومشاكله كما يبحثها غيره ، وكان ـ الى حد ما ـ مؤرخاً يستعرض الآراء النحوية استعراضاً تاريخياً . فيبدأ منها منذ نشأتها الأولى ثم يحاول تتبع سيرها على ألسن النحويين ، فيطلعنا بذلك على جانب من جوانب تطورها أو تاريخها النحوي .

على أنا لا نعني أن كتاب « الايضاح في علل النحو » كتاب في تاريخ النحو ، إذ لم يكن التأريخ للنحو غاية سعى اليها صاحبه ، إلا أن أسلوب الزجاجي في عرض المسائل النحوية أسلوب راعى فيه التطور الزمني . وكان فيه عالماً أميناً ومتتبعاً بصيراً . ولم يكن مجرد راوية ينقل ، وانما كان ناقلاً ناقداً يستعرض ويختار ، ويختصر ويوجز .

فمن خصائص هذا الأسلوب التاريخي أنه عني بالكشف عن مصدر الفكرة الأول ، وتتبعها لمعرفة ما آلت اليه ، ثم محاولة الربط بين حاضر الفكرة وماضيها . فأما الكشف عن مصدر الفكرة ، ومحاولة عزوها الى صاحبها ، فيظهر عند الزجاجي في مثل قوله في حديثه عن أقسام الكلام « وأول من سطر القول بذلك سيبويه » فدل على أن سيبويه هو أول من سجل تقسيم الكلام الى اسم وفعل وحرف . على أنه لم يغفل عن ذكر ما روي من أن علي بن أبي طالب

هو أول من قال بذلك . ولكنه ينقل هذا الخبر على أنه رواية رويت وليس لديه ما يؤيدها أو ينقضها .

وأما تتبعه للفكرة واستعراضه لما دار حولها من أقوال ، ورجعه كل قول الى صاحبه فيظهر مثلاً حين تحدث عن الاسم وحده فذكر موقف سيبويه (١٨٠ هـ) منه ورأي أصحابه - ثم ذكر رأي الأخفش الأوسط (٢١٠ هـ) ورد عليه - ثم رأي ابن السراج (٣١٦ هـ) وعاد أخيراً الى المبرد (٢٨٥ هـ) فوقف عند رأيه يفصل ويناقش .

وبمثل هذا التتبع تحدث عن امتناع الفعل من الخفض ، فبدأ برأي سيبويه وشرحه وأورد ما قيل فيه ، ثم انتقل الى رأي الأخفش الأوسط فشرحه ، وبين الصلة بينه وبين قول سيبويه ، بل بين كيف يعود قول الأخفش الى المصدر الأول الذي هو قول سيبويه وخلص من ذلك الى الحكم بأن كل كلام قيل في علة امتناع الفعل من الخفض فهو مشتق من قول سيبويه وراجع اليه .

وشبيه بذلك موقفه من رأي الفراء في علة دخول التنوين في الكلام ، إذ أتى على ذكره وبين أنه مأخوذ من قول سيبويه .

وتتبع القول في علة ثقل الفعل وخفة الاسم فذكر أقوال البصريين ، ثم انتقل الى الكوفيين فعدد منهم الكسائي (١٨٩ هـ) فالفراء (٢٠٧ هـ) فهشام ابن معاوية (٢٠٩ هـ) فثعلباً (٢٩١) .

وقد لا يكون بين النحويين خلاف في المسألة التي يبحثها ، فلا يكون هناك ضرورة لهذا العرض ، بل يكفي أن يشير الى إجماعهم على الأمر كأن يقول في الحديث عن العلة في تنكير الأفعال « وهو جواب الجماعة لا ينفرد به قوم دون قوم » أو أن يقول « الدليل على ذلك اجتماع النحويين

كلهم من البصريين والكوفيين على أن الأفعال نكرات » فإذا انعدم الاجماع كان ذكر القول الأشيع هو المقدم عنده ، ثم يتلوه قول المخالفين أو ما كان وجيهاً وجديراً منه بالذكر كما هو الأمر في باب علة دخول الإعراب في الكلام اذ ذكر قول النحويين ثم قال « هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً » واستمر يشرح رأي قطرب ويناقشه ويرد عليه . وكذلك فعل في باب علة دخول الإعراب في آخر الاسم دون أوله ووسطه إذ أفرد رأي كل من ابن الخياط والمبرد بالحديث لأنهما خالفا في ذلك وكانا على غير ما أجمع عليه النحاة .

ونرى الزجاجي أحياناً يصنف النحويين وفق آرائهم كما فعل حين تحدث عن الألف والواو والياء في التثنية والجمع فقال : « اعلم أن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال ، قال الكوفيون كلهم ... هي الإعراب نفسه . وقال المازني والمبرد والأخفش سعيد بن مسعدة هذه الحروف دليل الإعراب وليست باعراب ولا حروف إعراب . وقال الخليل وسيبويه ومن تابعهما هذه الحروف هي حروف الإعراب .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم شرح كل قول من هذه الأقوال وناقشه . ولا شك أن تقسيم العلماء وفق آرائهم . وذكر هذه الآراء وشرحها يساعد على معرفه الآثار المتبادلة فيما بين العلماء كما يساعد على معرفة الرأي القوي الذي كان له النفاذ والشيوع وكانت له الغلبة والحياة .

ويراعي الزجاجي هذا التسلسل الزمني حتى في ترتيبه للشواهد حين يحتاج اليها ولا يكتفي به في عرض آراء النحاة ، فقد أراد في بعض أبواب الكتاب أن يبين قيمة العربية فبدأ بالاستشهاد بالقرآن ثم بالحديث ثم بأقوال نسبت الى ابن عباس وابي بكر وعمر وعلي .

والخلاصة ان أبا القاسم الزجاجي كان يتتبع المسألة النحوية التي يبحثها محاولاً أن يكشف عن مصدرها ، فيثبت نسبتها اليه ، ثم يسير معها عبر الزمن ليظهرها في ثوب جديد من التعبير على ألسن أخرى تناولتها . بل لقد تعرض لتأريخ الحركة النحوية بصورة عامة فذكر ما شاع من خبر أبي الأسود الدؤلي الذي قيل أنه أول من بدأ العمل النحوي في عهد زياد ، وأنه أخذ ذلك عن علي بن أبي طالب .

(يتبع) مازن المبارك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا ٠ ل ٠ كليرفيل

نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

— ٥ —

رقم المصطلح | رقم المصطلح

٢١٦٤ نَخَر الأسنان | 2164 Carie dentaire

وقد درجت في كتبي على استعمال الناس ترجمة لهذا المصطلح ٠ ففي اللسان الناس غير مهموز ولا ثقيل القادح [1] في السن ٠ وطبيعي أن ترجح كلمة واحدة في ترجمة هذا المصطلح على كلمتين ٠

٢١٦٥ نَخِر ، مُسَوَّس | 2165 Carié, e

نَخِر أو مَسوس ومَسُوسة ومُسَبِّس ٠

---

(١) في اللسان : والقَدْح والقادِحُ أُكال يقع في الشجَرَ والأسنان ، والقادِحُ العَفَن وكلاهما صفة غالبة . والقادِحةُ الدودة التي تأكل السن والشجَر تقول قد أسرعت في اسنانه القوادحُ الى أن قال وقد قُدِح في السن والشجرة ، وقُدِحتا قَدْحاً ، وقَدَح الدودُ في الأسنان والشجَر قدحاً وهو تأكل يقع فيه . والقادِح الصَّدع في العُود والسَّواد الذي يظهر في الأسنان .

٢٢١٠ خوذة الخَوَر 2210 Casque neurasthénique

وأرجح قلنسوة الوَهْن العصبي .

٢٢٤٣ خُلاع 2243 Catatonie

وأقر مجمع اللغة خُباط متقلب ، ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة اللفظة بالجُمود . فقد جاء تعريفها في معجم بلاكستون (Blakiston's) : طور من ارتكاس الفِصام (Schizophrenic reaction) أو نوع منه ، يبدو المصاب به فاقداً ارادة الكلام أو الحركة ملتزماً وضعة واحدة ، ومحافظاً على الوضعة التي يجعل فيها مع ممانعة لأي حركة ارادية أو للكلام .

أما الخُلاع فقد جاء في اللسان : والخُلاع والخَيْلَع والخَوْلَع كالخَبَل والجنون يصيب الإنسان ، وقيل هو فَزَع يبقى في الفؤاد يكاد يَعْتَري منه الوَسْواس وقيل الضَّعْف والفَزَع .

لذا أرجح الجمود والكاتاتونية معرّبة .

٢٢٤٧ مَخْرَج مُتَوَهِّج 2247 Cathode incadescente

وأفضل مَنْفَذ سَلْبي مُتوهج إذا لم يفضل كاثود متوهج (معرباً) .

٢٢٤٨ شاردة سَلْبية (شاربة) 2248 Cation

وأرجح كاتيون معرّبة .

٢٢٥٥ حُراق ، تنــاذر حُراقي 2255 Causalgie, syndrome

عُصاب حروري causalgique, thermalgie

وأقر مجمع اللغة حُرْقة في الجلد . ودرج كاتب السطور على استعمال الألم المُحرِق ترجمة لـ (Causalgie) فأقول الألم المُحرِق ، تناذر الألم المُحرِق والألم الحروري .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الحُراق فله دلالته اللغوية الخاصة ، فقد جاء في اللسان : والحُراق ما تقت به النار من خِرْقة أو نَبْج ، قال والنَّبْج أصول البَرْدِيّ اذا جفّ ، الحُراق والحُراقة ما تقع فيه النار عند القَدْح والعامة تقوله بالتشديد .

٢٣٢٦ (٥) جامعة عصبية 2326 (5) Neurone

وأقر مجمع اللغة عَصَبة . ودرجت على استعمال الوحدة العصبية .

٢٤٦٠ مِسْبَحة خَرَعية 2460 Chapelet rachitique

وأرجح مِسْبَحة رخيطبية[1] .

٢٥١٧ انجذاب كيمياوي ، انحياز كيمياوي 2517 Chimiotaxie, Chimiotro--pisme, Chimiotactisme

وأرجح أن تكون ترجمة هذه المصطلحات الثلاثة تباعاً : الانتظام الكيميائي (لأن منه ما يكون ايجابياً فيدل على الانجذاب ، كما ان منه ما يكون سلبياً فحري به أن يدعى نفوراً) ، الانجذاب كيميائي والنظامية الكيميائية .

٢٥٤٤ خَضَر ، فاقة دم شديدة 2544 Chlorose, anémie essentielle Chlorose, d'Egypte, chlorose tropicale

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة الأولى بكلوروز ، ودرجت على ترجمتها بداء الإخضرار والتعريب أفضل . أما بقية الألفاظ فتكون ترجمتها : فاقة الدم الأساسية (لا الشديدة) كلوروز مصر ، كلوروز المناطق الحارة . وللخَضَر معناه اللغوي الخاص[2] .

---

(١) ينظر في الصفحة ٩٩ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) في التاج : والخَضَر بالتحريك النعومة مصدر خَضِر الزرع اذا نعم الى ان قال والخَضَر سَعَف النخل وجريده الأخضر .

2545 Chlorotique ٢٥٤٥ خضور ، متعلق بالخضر

وأرجح أن يقال كلوروزي استناداً الى ما تقدم .

2553 Choc allergique ٢٥٥٣ صدمة تجاوبية

وأفضل صدمة آليرجيائية [1] .

2554 Choc anaphylactique ٢٥٥٤ صدمة تأقية

وأفضل صدمة الاستهداف [2] أو اللاوقاية (المجمع) .

2558 Choc hémoclasique, colloïdo - clasique ٢٥٥٨ صدمة تزعزع الدم صدمة تزعزع الشغريات

أقول صدمة تزعزع الدم ، صدمة تزعزع الغرويات .

2559 Choc hypoglycémique, Choc insulinique ٢٥٥٩ صدمة نقص التحلون الدموي صدمة انسولينية

ودرجت على استعمال صدمة نقص سكر الدم والصدمة الأنسولينية .

2581 Cholestéatome ٢٥٨١ وَرَم شمي ، ورم لؤلؤي

وأقر مجمع اللغة ورم لؤلؤي ورم شحمي كولسترولي .

2583 Cholestérine, cholestérol ٢٥٨٣ غول المرة (كولسترول)

وأقر مجمع اللغة كولسترول وهي الكلمة الدارجة حتى على ألسن العامة وكذلك كولسترين .

2598 Chondrodystrophie ٢٥٩٠ كساحة الولدان، حثل الغضاريف

(١) انظر الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) الصفحة ٤٦٥ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأقر مجمع اللغة السَّغَل الغضروفي ، وهو الأفضل لأن السَّغَل [1] البادي مرده الى سوء تكوّن الغضاريف ، وكلمة حَثَل (لا حَثَل) لا تفيد المعنى المطلوب ونسبتها الى الغضاريف يفهم منه اضطراب الغضاريف بحد ذاته ، وكلمة كُساحة لا أراها تفيد المعنى المطلوب .

وعليه فالأفضل أن تترجم اللفظة بالسَّغَل الغضروفي .

2593 Chorée, danse de saint Guy. Chorée rhumatis- - male de Sydenham ٢٥٩٣ رَقَص ، رَقَص سن غي ، رَقَص سيدنهام الرثوي

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بكورية ، والشائع هو داء الرقص ، فتكون الترجمة : كورية أو داء الرَّقص ، رَقَص (ترجمة Danse) سن غي ، كورية سيدنهام الرثوية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

2615 Chromomètre ٢٦١٥ مِقياس تعيين اللون

وأرجح مقياس اللون .

2616 Chromatophobie ٢٦١٦ كُرْه الألوان

(١) ان مدلول لفظة (Chondrodystrophie) هو سوء التشكل الجِبْلّي في العظام من منشأ غضروفي . وفي اللسان : والكُساحُ الزَّمـانة في اليدين والرجلين وأكثر ما يستعمل في الرجلين ، الكَسَح ثِقَل في إحدى الرجلين اذا مشى جرّها جرّاً ، الأكسح الأعرج والمُقْعَد ايضاً . وجاء ايضاً والكسَح داء يأخذ في الأوراك فتضعف له الرجل وقد كسِحَ الرجلُ كَسَحاً إذا ثقلت إحدى رجليه في المشي ، فاذا مشى كأنه يكسح الأرض أي يَكْنُسُها .
وفي اللسان : الحَثَل سُوء الرَّضاع والحال ، وقد أحثلته أمه والمُحْثَل السيء الغِذاء والحِثْل الضاوي الدقيق كالمُحْثَل .
والسَّغِل : الدقيق القوائم الصغير الجُثة الضعيف والاسم السَّغَل ، والسَّغِل والوَغِل السيء الغذاء المضطرب الأعضاء السيء الخُلُق يقال صبيٌّ سَغِل بين السَّغَل .

وأرجح النفور من الصباغ ويعنى بهذه اللفظة حال بعض الخلايا التي لا تصطبغ بالملونات ، ودعاها المجمع الخلايا اللاصتلونة .

٢٦١٧ رؤية الأشياء ملونة 2619 Chromatopsie

وأرجح اصطباغ الرؤية [1] .

٢٦٢٠ جسم ملوّن (في نواة الخلية) 2620 Chromosome

وأقر مجمع اللغة الصبغي (ج الصبغيات) وأرجح تعريب هذه اللفظة بكروموزوما لبعد كل من الجسم الملون (في نواة الخلية) والصبغية عن الدلالة [2] .

٢٦٢١ زَمْنَة وحدة زَمَنية 2621 Chronaxie

وأفضل تعريبها بكروناكسيا [3] أيضاً .

٢٦٨٨ دَوَران اكليلي 2688 Circulation coronaire

كذا وردت الترجمة في جدول تصويب الأخطاء الواردة في المعجم ، وكانت في المتن دَوَران تاجي فعدلت عنه ، وأراه أصح . فالمتفق عليه اطلاق (Couronne) على التاج والإكليل معاً إلا أن التاج أنص لا سيما وان

(١) لقد ذكرت لجنة مجمع اللغة في ترجمة (Chromatopsia) عمى الألوان ولا أظنه إلا خطأ مطبعياً لأن عمى الألوان ترجمة لـ (Achromatopsia) .

(٢) ويعني بها اجزاء متناهية في الصغر بشكل (٧) تظهر في نواة الخلية التي هي في طور الانقسام ، وتنشأ من تجزؤ شبكة الكروماتين (Chromatine) ، وعدد هذه الأجزاء ثابت لكل نوع من انواع الحيوانات .

(٣) يفهم من وحدة زمنية احد اجزاء الدقيقة والثانية ، والزَّمْنة كما جاء في لسان الزمان . واللفظة الفرنجية لا تدل على هذا ولا ذاك فهي ذات دلالة خاصة لا تشاطرها فيها أي كلمة . فقد عرفت الكروناكسيا بالمدة التي تنقضي لمرور التيار الكهربائي حتى إحداث ادنى تقلص في العضلة وذلك بشدة تبلغ ضعف أخف التيارات التي تثير التقلص المذكور (Rheobase) .

التتويج يأتي ترجمة لـ (Couronnement) في الفرنسية و (Coronation) في الانكليزية . وقد أقر مجمع اللغة ترجمة (Coronary) بتاجي .

٢٧٠٥ إشقرار 2705 Cirrhose

وأقر مجمع اللغة كلمة تليف في ترجمة اللفظة ، وهي تطلق على حالة مرضية تعرض للكبد تمتاز بالتكثر المفرط لنسيجها الضام ، وقد درجنا ومن تقدمنا على اطلاق التشمع عليها وأصبحت الكلمة من الخطأ المشهور ، وكلمة الاشقرار تشير الى مدلول اللفظة اللغوي بأن تصبح الكبد بلون أشقر . وكلمة التليف دلالتها أعم لأن لون الكبد لا يكون أشقر دائماً في الأشكال المختلفة من العلة المذكورة .

٢٧٤٨ دَوْرة كاملة ، بُحراني ، نقد 2748 Climatérique, Critique

إن اللفظة الفرنجية كما جاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) من اليونانية وترجمتها الحرفية (درجة السلّم) ومعناها كما يقول صاحب المعجم المذكور طور الحياة الذي يطرأ فيه على البدن تغيّر بيّن ، وقد ظُن أن هذه الأطوار تتكرر كل سبع سنوات إلا أن هذه الكلمة تستعمل من أجل سن الأياس (Menopause) .

وعليه فترجمة اللفظة أيامي (دَوْري أو نَوْبي) .

٢٧٤٩ معالجة بالإقليم 2749 Climatothérapie

وأرجح المعالجة المُناخية ، وأقر مجمع اللغة العلاج المُناخي .

٢٧٥٤ ضُجْعَة 2754 Clinomanie

وأرجح وَلَع الاستلقاء . فقد عرفت اللفظة الفرنجية بالميل المُفْرط لملازمة السرير أو الاستلقاء والمشاهد في بعض المصابين بالوَهْن العصبي وبالوهن العصبي التناسلي خاصة . أما الضُجْعَة فقد جاء في اللسان : الضُجْعَة والضُجْعي الذي

يلزم البيت ولا يكاد يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة . واضطجع نام وقيل استلقى ووضع جنبه بالأرض وأضجعت فلاناً إذا وضعت جنبه بالأرض . الاستلقاء على القفا وكل شيء كان فيه كالانبطاح ففيه استلقاء ، واستلقى على قفاه .

٢٧٥٦ ملازم فراشه — 2757 Clinostatique

والأفضل أن يقال استلقائي ومنه البيلة الآحينية الاستلقائية المشاهدة في بعض الحوامل (Albuminurie clinostatique)، على عكس البيلة الآحينية الانتصابية (Alb. orthostatique) التي تبدو في بعض الأعلاء حين الانتصاب أو الوقوف .

٢٧٥٧ لزوم الفراش — 2757 Clinostatisme

وأرجح الاستلقاء .

٢٧٦٩ اختلاجي — 2769 Clonique

٢٧٧٠ اختلاج اليد — 2770 Clonus de la main

وأقر مجمع اللغة الرجفان في ترجمة (Clonus) ودرجت على استعمال الارتجاج مخصصاً الاختلاج للفظة (Convulsion) وقد استعملت اللجنة الكلمة ذاتها في المصطلح ذي الرقم ٣٢٠٥ بقولها اختلاج ارتجاجي لترجمة (Convulsion clonique) .

وعليه فأرجح ارتجاجي للفظة الأولى وارتجاج اليد للثانية .

٢٧٧٢ اختلاج القدم ، ارتجاجات نظيرة الصرع ، اختلاجات نخاعية — 2772 Clonus du pied, phénomène du pied, trépidation épileptoïde, spinale

وأرجح أن يقال في ترجمة هذه الألفاظ : ارتجاج القدم ، ظاهرة القدم ، الاهتزاز شبه الصرعي ، نخاعي .

2772 Clonus de la rotule, phénomène de la rotule — ٢٧٧٢ اختلاج الداغصة

وأفضل ارتجاج الداغصة ، ظاهرة الداغصة .

2773 Clou hystérique — ٢٧٧٣ مسمار هرعي

أقول مسمار هيستريائي [1] .

2786 Cocci, microcoques — ٢٧٨٦ مكورات دقاق

مكورات (بصيغة الجمع) ، مكورات دقاق .

2787 Coccidie — ٢٧٨٧ كُرويات

وعربها المجمع بكوكسيدية .

2788 Coccobacille de la coqueluche, bacille de Bordet-Gengou — ٢٧٨٨ عُصَورة السُعال الديكي ، عُصيّة بورده جنغو

2789 Coccobacille de Pfeiffer, bacille de Pfeiffer — ٢٧٨٩ عُصَوَرة فايفر ، عُصية فايفر

وعُصوَرة منحوتة من عُصية ومكوَّرة ، و لا استحسن هذا النحت ، لذا أرجح أن يقال في اللفظة الأولى عصية السعال الديكي المكوَّرة وفي الثانية عُصية فايفر المكوَّرة .

2790 Coccus — ٢٧٩٠ مكوَّرات

والأصح مكوَّرة بصيغة المفرد وجمعها مكوَّرات (Cocci) .

2795 Cœliaque — ٢٧٩٥ بَطني

وأقر مجمع اللغة جُواني وهو الأفضل لأن بَطني تعني (Abdominal) أيضاً .

---

(١) الصفحة ٣٠٠ الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

٢٧٩٦ جوف عام ، جوف جنبي صفاقي خارجي — 2796 Cœlome, Cavité pleuro-péritonéale

وأرجح أن يقال الفضاء الجوافي (في الجنين) والجوف الجنبي البريطوني .

٢٨٠٤ قَلْبٌ مُسترخٍ — 2804 Cœur en goutte

وجاء في النص الانكليزي pendulous heart, drop heart ويعني بهذه اللفظة أحد أشكال القلب البادي في الأشعة والقلب على هيئة قطرة أو رقاص الساعة ، ويفهم من قَلْب مُسترخ مصاب بالاسترخاء Asystolie [1] لذا أرجح أن يقال القلب على هيئة القطرة أو رقاص الساعة .

٢٨٠٦ قَلْب نَزِق ، مستثار ، قلب محارب ، قلب الجندي ، تقلب القلب ، تناذر قلبي عصبي امراعي عصابية قلبية امراعية ، تناذر وَهَن دوراني — 2806 Cœur irritable, cœur de guerre, cœur de soldat, instabilité cardiaque, syn-drome neurotachycardiaque, névrose tachycardiaque, syndrome d'asthénie circulatoire

وأرجح قلب هائج ، قلب الحرب ، لا استقرار القلب ، تناذر عصبي امراعي ، شواش امراع القلب ، تناذر الوَهْن الدوراني .

٢٨٠٧ قلب تاجي — 2407 Cœur mitral

وأرجح قلب اكليلي كما جاء في متن الكتاب قبل تصحيح الخطأ وأن يخصص النسبة الى تاج بـ (Coronaire) .

---

(١) لقد ذكرت اللجنة في اللفظة ١٢٣٠ استرخاء القلب وقصوره في ترجمة (Asystolie, insuffisance) :

٢٨٤٨ مُسْلِمون (مُكوِّن الهُلام أو الغراء) Collagène 2848

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بكولاجين ودرجت على استعمال مولد الغراء وأفضل التعريب .

٢٨٦٤ غُرَيْاء (كولوديون) Collodion 2894

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظ بكولوديون وهي دارجة الاستعمال وأخف وقعاً من غُرَيْاء .

٢٨٦٥ شُبَيْغَري ، شبه غِرائي Colloïdal, ale 2865

وأقر مجمع اللغة غرائي ، وعندي التعريب أفضل بقولنا كولوئيدي .

٢٨٦٨ غُرْغَرة ، مَضْمَضة Collutoire 2868

وقد عرفت اللفظة الفرنجية بأنها العلاج الذي يستعمل لأجل التأثير في اللثة وفي جدار جوف الفم (معجم غارنيه M. Garnier) وأرجح بأن تترجم اللفظة بطِلاء الفم [1] ، وان تخصص الغرغرة والمضمضة ترجمة للفظة (Gargarisme) وقد عُرفت هذه بأنه العلاج السائل الذي يستعمل بخفه في الجزء الخلفي من الحلق والبلعوم [2] . وطبيعي أن لا ينطبق هذا التعريف على مدلول لفظة (Collutoire) .

٢٨٩٣ مُلوِّن آزوتي ، جسم آزوتي مُلوَّن Colorant azoïque 2893
corps azoïque coloré

والأصح أن يقال مُلوِّن آزوئيكي أو مُلوِّن الآزو عملاً بالترجمة الانكليزية (Azodyes) ولو كانت النسبة الى الآزوت لوجب أن تكون (Colorant Azotique) ولكن النسبة هنا الى صنف من المواد الصباغية تعرف بـ (Azobenzène) .

(١) في اللسان : الطِّلاء القَطِران وكل ما طليت به .

(٢) (M. Garnier et V.Delamare Dictionnaire,des termes techniques de médecine)

٢٩٠٨ تسبيخ 2908 Coma

وأقر مجمع اللغة كلمة سُبات وهي الكلمة الدارجة والتي يستعملها جميع الأطباء بلا استثناء ولا أرى مسوغاً لاستبدالها بكلمة جديدة قاموسية .

٢٩١٠ تسبيخ تبولي 2910 Coma urémique

وأرجح سُبات أوريمياني وهو المصطلح الدارج أيضاً .

٢٩٤٨ مشترك أذَيني 2948 Complexe auriculaire, ressaut P (E C G)

وأفضل المجموعة الأذينية أو المُركّب الأُذيني اشارة P (م ق ك) أعني مخطط القلب الكهربائي .

٢٩٤٩ مشترك بدائي ، القسم البدائي من المشترك البطيني 2949 Complexe intial, partie initiale du complexe ven-triculaire, complexe Q. R. S. (E C G)

وأفضل أن يقال في ترجمة اللفظة وما يليها : المجموعة البدئية ، الجزء البدئي من المجموعة البطنية ، مجموعة Q. R S. (م ق ك) .

٢٩٥٠ مشترك بُطَيني مخطط بطيني 2950 Complexe Q. R S. T. complexe ventriculaire (E C G) ventri-culogramme

وأفضل في ترجمة هذه المصطلحات : مجموعة (Q R. S T.) ، المجموعة البطينية (م ق ك) المخطط البطيني .

٢٩٥٣ احتيال عام ، تجمُّل 2935 Comportement général

والصحيح سُلوك عام أو تصرُّف عام .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٠٢١ مَجرى السمع الظاهر والباطن — 2021 Conduit auditif ou acoustique externe et interne

والصحيح الصِماخ ومجرى السمع الباطن . ففي المخصص ولسان العرب الصِماخ من الأذن الخرق الباطن الذي يفضي الى الرأس . ولا أرى مانعاً من أن يدعى الأول الصماخ الظاهر والثاني الصماخ الباطن .

٣٠٤٠ هُذاء ، تخيل — 3040 Confabulation

وأرجح الخَرَف[1]

٣٠٩٠ إضواء (وحدة الدم) — 3090 Consanguinité

والصحيح القَرابة أو القُربى وإن شئت القَرابة الدموية أو القربى الدموية على وجه التخصيص . أما الإضواء فهو الهُزال والضَّعف البادي في الولد من القَرابة في الزواج ، فهو نتيجة التقارب لا القرابة ذاتها[2] .

٣٠٩١ الشعور (غَطْمَشَة) — 3091 Conscience (obnubilation de la)

---

(١) في اللسان : الخَرَف بالتحريك فساد العَقْل من الكِبَر . وقد خَرِف الرجلُ بالكسر يخرَف خَرَفاً فهو خَرِفٌ فَسَدَ عقلُه من الكِبَر والأنثى خَرِفَة وأخرَفَه الهَرَمُ .

(٢) في اللسان : والضَّوَى دقّة العظم وقلة الجسم خِلْقةً ، وقيل الضوى الهُزال ضَوِيَ ضَوًى الى أن قال : وأضوى الرجلُ وُلِد له ولدٌ ضاويٌ وكذلك المرأة . وفي الحديث اغتربوا لا تضوُوا أي تزوجوا في البِعاد الأنساب لا في الأقارب لئلا تضوى أولادُكم ، وقيل معناه انكحوا في الغرائب دون القرائب ، فإن ولد الغريب أنجبُ وأقوى ، وولد القرائب أضعفُ وأضوى .

ARCHIVE

وأرجح فَتْر الشُعور أو الوعي وربما غطش الشعور أو الوعي والأولى أفضل [١] .

٣٠٩٢ شُعُور بالذات — 3092 Conscience de soi - même

وأرجح شُعُور بالأنا (مصطلح نفساني) .

٣١٣٥ تَحَثُّر مِعَوي — 3135 Constriction intestinale

وأرجح تَضَيُّق مِعَوي [٢]

٣١٧١ تَقَلُّص حَوْلي — 3171 Contraction péristaltique

وأقر مجمع اللغة التمعّج ترجمة لـ (Peristaltis) ودرجت على استعمال كلمة التحوّي في هذه الترجمة ، والمقصود من اللفظة الحركة البادية في الأمعاء والتي من شأنها أن يضيق أحد أجزائها بينما يتسع الجزء الذي يليه وتتابع الحركتين مما يتيح للغذاء أن يسير في لمتها [٣] وأرجح من أجل ذلك أن تكون الترجمة تقلص حَوِي أو استداري .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) في اللسان : والفَتْر الضعف وفَتَر جسمُه يَفْتُر فتوراً لانت مفاصله وضعف ، ويقال أجد في نَفْسي فَتْرة وهي كالضَّعفة ، ويقال للشيخ قد علته كَبْرة وعَرَتْه فَتْرَة وأفتره الداء أضعفه وكذلك أفتره السُكر . والغَطَاش ظُلْمة الليل واختلاطه ، ليل أغطش ، وقد أغطشَ الليل فهو غاطش أي مظلم ، وفي الأساس وفلاة غطشى عمية المسالك ومررت فتغاطش أي تغافل .
أما الغَطْمَشَة فقد جاء في اللسان : الغطمشة الأخذ قهراً وتغطمش فلان علينا تغطمشاً تَظلّمنا وبه سمي الرجل غطمّشاً .

(٢) في اللسان : حِتَار كل شيء كِفافه وحرفه وما استدار به كحتار الأذن وهو كِفاف حروف غضاريفها الى أن قال : وحَتَر الشيء وأحتره أحكمه ، احترت العُقدة إحتاراً إذا أحكمتها فهي مُحْتَرة ، وكل شد حَتْر بينما يقصد بهذا المصطلح تضيق لمة المعي لا غير .

(٣) المقصود من كلمة حَوْلي نسبة الى حَوْل الشيء ما يطيف بجوانبه ولا أراها في محلها . والتمعج كما جاء في اللسان : المَعْج سرعة المَرّ وريح مَعُوج سريعة المَرّ ومَعَجَ السَّيل يمعَجُ أسرعَ ومَعَج في الجري يمعَجُ مَعْجاً تفنّن .
أما التحوي ففي اللسان أيضاً : والحوِيّة استدارة كل شيء وتحوى الشيء استدار .

3184 Contre - coup ٣١٨٤ تضاد الصدمة

وأفضل أن يقال الصَّدْمة المُقابِلة أو الراجعة أو ردة الصدمة .

3185 Contre épreuve ٣١٨٥ ضد التجربة ، ضد الاختبار

وأفضل الاختبار المُقابل .

2190 Contre stimulant ٣١٩٠ مضاد التنبه

وأرجح مُهَدِّئ .

3309 Convulsion tonique, tonisme ٣٢٠٩ اختلاج اشتدادي، تَحَظْرُب

وأرجح أن يقال اختلاج مقوٍّ ، التقوي . لأن كلمة اشتدادي سبق وان استعملت ترجمة لِـ (paroxystique) ، واللجنة استعملت القوة والمقوي لترجمة (tonique) وأمثالها . أما التحظرب فقد جاء في اللسان أنه امتلاء البطن [1]

http://Archivebeta.Sakhrit.com

3217 Coprostase ٣٢١٧ انحباس البِراز ، انحباس الغائط

وأرجح ركود البِراز أو ركود الغائِط كما أن مطاوع حَبَس احتبس لا انحبس وفق ما جاء في اللسان والقاموس .

3244 Cornage, dyspnée du cheval, pousse ٣٢٤٤ تَصوْت صوري ، زلة الحصان، نُخام

ودرجتُ على ترجمة اللفظة بالضَّبْح . وعرفت اللفظة الفرنجية بأنها مستعارة من الطب البيطري للدلالة على الصفير الحُنْجري الرُّغامي الشديد حتى ليسمع

---

(١) في اللسان : المُحَظْرَبُ الشديد الفَتْل ، حَظْرَبَ الوَتَرَ والحَبْلَ أجاد فَتْله وشد تَوْتيرَه وحَظْرَبَ قوسه اذا شد تَوْتيرها ورَجُلٌ مُحَظْرَبٌ شديد الشكيمة الى أن قال والتحظرُب امتلاء البَطْن .

من بَعْد . وفي اللسان : ضَبَح يَضْبَح ضَبْحاً وضُباحاً نبح والضُباح الصَّهيل وضَبَحت الخَيْل في عَدْوِها تَضْبَح ضَبْحاً أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصَهيل ولا حَمْحمة ، وقيل تَضْبَح تنحم وهو صوت أنفاسها اذا عَدون الى أن قال وفي التنزيل والعاديات ضَبْحاً .

وفي اللسان والنُّحام طائر أحمر على خِلْقة الإوز واحدته نُحامة . والنَّحيم صوت من صدر الفرس (١) . لذا أرجح أن يقال في ترجمة هذه اللفظات : ضَبْح ، زَلّة الخَيْل ، تنحيم .

3268 Corps ٣٢٦٨ جِسم ، جُثمان ، جَسَد
وبَدَن أيضاً .

3383 Coudé. e ٣٣٨٣ مُكوَّع
وأرجح مِرْفقي نسبة الى المِرْفق وهو مَوْصِلُ الذراع في العَضُد . أما مُكوَّع فهو نسبة الى كوع وهو طَرَفُ الزند الذي يلي أصل الابهام (٢) .

3385 Cou - de - pied ٣٣٨٥ عُنُق القدم

وهي الترجمة الحرفية للفظة الفرنسية ولم يسبق لأحد من أطباء العرب القدامى أن استعملها ولم أعثر عليها في أي معجم من المعاجم العربية . وما استعمل في الدلالة على هذه اللفظة هو صدْر القدَم وحِمارة القدم مع بعض الفرق بين هاتين

---

(١) في المخصص : النَّحيم والكَرير صوت يكون من الصدر وفَرَسٌ نَاحِمٌ ونَاحِمة .
(٢) في اللسان : الكاع والكُوع : طَرَف الزند الذي يلي أصل الإبهام وقيل هو من أصل الإبهام الى الزند ، وقيل هما طرفا الزندين في الذراع والكوع الذي يلي الإبهام والكاع طرف الزند الذي يلي الخِنْصِر وهو الكُرْسُوعُ وجمعها أكواع .

اللفظتين [١] . وترجمة اللفظة الانكليزية (Instep) وقد عُرفت بأنها قوس الجزء المتوسط من القدم ، واللفظة الألمانية (Fussbeuge) تفيد المعنى نفسه ، مما يدل على انفراد الفرنسية بهذه التسمية التي لنا في لغتنا الضادية ما يقابلها . كما أن ترجمة اللجنة للفظة (Articulation tibio - tarsienne ou du cou de pied) بمفصل عنق القدم (اللفظة ذات الرقم ١١٥٠) حريّ به أن يصحح بمفصل القدم وكُرْسوع [٢] القدم أو مفصل الكعب كما جاء في قانون ابن سينا وفي كامل الصناعة .

٣٣٩١ رَمَض — 3391 Coup de chaleur

ودرجت على ترجمة اللفظة بلفحة الرَمْضاء ، إذ المقصود منها العوارض العامة الناجمة عن التعرض للحر الشديد والرَمَض يدل على أثر موضعي [٣] .

---

(١) في المخصص الحمارة : في القدم حمارتها وهي ظهر عظمها قريباً من مفصل القدم ، مَدْر القدم ما تحت الأصابع من مُقدّمها .
في اللسان : وحمارّة القَدَم المشرِفة بين أصابعها ومفاصلها من فوق ، وصَدر القَدَم مُقدّمها ما بين أصابعها الى الحمارّة .

(٢) في المخصص : كُرْسوع القدم مفصلها من الساق ، وكذلك في اللسان أيضاً .

(٣) في اللسان لَفَحَتْه النار تَلْفَحُه لَفْحاً ولَفَحاناً أصابت وَجْهَه إلا أن النَّفحَ أعظم تأثيراً منه وكذلك لَفَحت وَجْهَه ، لَفَحَتْه النار إذا أصابت أعلى جسده فأحرقته لفَحَته النار والسَّمُومُ بحرها أحرقته .
وفي اللسان أيضاً : الرَمَض والرَمضاء ، شدة الحر ، والرَمَض حرّ الحجارة من شدة حَرّ الشمس وقيل هو الحرّ والرُجوع عن المبادي إلى المحاضر وأرضٌ رمِضة ، والرَمَض شدة وقع الشمس على الرمل والأرض ورمضاء الى أن قال : ورَمِض الإنسان رَمَضاً : مضى على الرَمضاء والأرض رَمِضة ورَمِض يومنا بالكسر يرمَض رَمَضاً اشتد حره ، ورمضت قدمه من الرمضاء أي احترقت .

٣٣٩٩ رَعَن — 3399 Coup de soleil, insolation

والصحيح رَعَن بالتحريك[١] .

٣٤٧٢ وُراك — 3472 Coxalgie

والصحيح الألم الحَرْقفي أو الألم الحَجَبي نسبة الى الحَرْقفة والحَجَبة[٢] ، وهو الاسم الدارج بين الأطباء وفي كتب التشريح إذ الوَرِك ينبغي أن يخصص للفظة (Ischion) وقد أطلقت عليها اللجنة الوَرِك أيضاً مما يوجب الالتباس بينهما .

٣٤٧٣ وُراك هَرَعي — 3473 Coxalgie hystérique, maladie de

داء برودي — Brodie

وأرجح ألم حرقفي هِستريائي أو ألم حَجَبي هِستريائي[٣] .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) في القاموس المحيط : الأَرْعَن الأهوج في منطقه والأحمق المسترخي وقد رَعُن مثلثة رُعونة ورَعَناً محركة وما أَرْعَنه ورَعَنَتْه الشمس آلمت دماغه فاسترخى لذلك وغُشيَ عليه والرَّعْن أنف يتقدم الجبلَ ج رُعُون ورِعان والجبل الطويل .

(٢) لا أدري لماذا تخلت اللجنة عن الحَرْقفة في ترجمة كلمة (Hanche) واستبدلتها بوَرِك فقد جاء في اللسان الحَرْقَفتان رؤوس أعالي الوَرِكَين بمنزلة الحجبة ، والحرقفتان مجتمع رأس الفخذ ورأس الوَرِك حيث يلتقيان من ظاهر . الحَرْقَفَة عظم الحَجَبة وهي رأس الوَرِك . والحَجَبة بالتحريك رأس الوَرِك والحَجَبتان حرفا الوَرِك اللذان يُشرفان على الخاصرتين .

(٣) انظر الصفحة ٣٠٠ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

مختارات مما لم يُنشر

من شعر البحتري (١)

-٦-

قال البحتري (٢) يمدح أحمدَ بنَ محمدِ بنِ بَسْطام (٣) :

(١) أخبرنا بعض العائدين من مصر أن الأستاذ حسن كامل الصيرفي قد دفع إلى مطبعة دار المعارف بالجزء الأول من تحقيقه لديوان البحتري الكامل ، ولهذا رأينا أن نختم مختاراتنا بتقديم هذه الحلقة الرابعة والأخيرة منها ، وكنا أملنا ألا يطول انتظارنا بعد اليوم ، وإلى الأستاذ الصيرفي أطيب تحياتنا وأصدق رجائنا بأن تتم هذه « المعجزة » على يده ، وفقه الله .

(٢) القصيدة من الطويل ، عدد أبياتها ٣٦ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة ٣٢٨ و — ٣٢٩ و والذي يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن المعري في (عبث الوليد : مطبعة الترقي في دمشق ١٩٣٦ : ص ١٩٠ — ١٩١) يذكر الشطر الأول من مطلعها والأبيات : ٩ و ١٢ و ٣٤ منها .

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن بسطام الكاتب أحد أعيان الفرس ، ومن أشهر رجال الدولة في النصف الثاني من القرن الثالث ، وكان ممدحاً « مشهوراً بمظم مروءته وكثرة معروفه » كما يقول عنه التنوخي على لسان الخليفة المعتضد (نشوار المحاضرة - مطبعة المفيد بدمشق ١٩٣٠ م : ٨/ ٦٥) ، وقد مدحه البحتري بعشر قصائد ، ثلاث منها لا تزال مخطوطة ، وهذه القصيدة إحداها ، ويبدو أن اتصال البحتري بأبي العباس بدأ في الشآم ، حيث كان الممدوح يتولى بعض الأمور (ديوان —

هواها ـ على أنَّ الصُّدودَ سبيلُها ـ … مُقيمٌ بأكنافِ الحشا ما يَزُولُها

وإنْ جَدّدَ الواشونَ في صَرْمِ حَبْلِها … وأبدعَ في فرطِ الملامِ عَذولُها

ومُولَعَةٍ بالهجرِ يُقلَى وَدُودُها … ويُقصَى مُدانيها ويُجفَى وَصُولُها

أذالَ[1] مصوناتِ الدموعِ اهتجارُها … ولولا الهوى ما كانَ شيءٌ يُذيلُها

وما الوجدُ إلاّ أدمعٌ مُسْتَهِلَّةٌ … إذا ما مَراها[2] الشوقُ فاضَ هَمُولُها

أسِيْتُ فأعطيتُ الصَّبابةَ حقَّها … غداةَ استقلّتْ للفراقِ حُمُولُها[3]

وهل هيَ إلاّ لوعةٌ مُستَسِرَّةٌ … يُذيبُ الحشا والقلبَ وجداً غَليلُها

البحتري : الجوائب : ١/ ١٣٥) وفي العراق توثقت أواصر الصداقة بينهما ، وكان الممدوح يتقلد أعمالاً مالية وإدارية وكتابية (نثوار المحاضرة : ٨/ ٥١ — ٥٢) والبحتري في مدائحه له يتحدث عن حسن سياسته في جمع الخراج ، كما يصوره كاتباً مجيداً وقائداً فارساً شجاعاً (الديوان – الجوائب : ١/ ١٢٩ و ٢/ ١٣٩ ؛ ومخطوطة الديوان الباريسية : الورقة ٣٨١ — ٣٨٢) وحول إحدى مدائح البحتري فيه ثارت تلك المعركة الشعرية بين البحتري وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، ونجد صدى هذه المعركة في ديوان البحتري (الجوائب : ١/ ١٢٧ — ١٣٣) وبعض كتب الأدب (الموشح للمرزباني — السلفية ١٣٤٣هـ : ص ٣٥١) .

(١) أذال الدمع : سفحه .

(٢) مرى الدمع : استدرّه وأرسله .

(٣) الحمول : الهوادج أو الإبل التي عليها الهوادج .

ولولا معالي أحمدَ بنِ محمدٍ ... لأضحت ديارُ الحمدِ وَحْشاً[1] طلولُها

فتىً[2] لم يَمِلْ بالنفسِ منه عن العُلى ... إلى غيرها شيءٌ سواها يميلُها

يَرُدُّ بني الآمالِ بِيضاً وُجوهُهُم ... بنائلةٍ جَمٍّ العطايا جزيلُها

فليس يُبالي مُستَميحو نوالِهِ ... أصابَ الليالي خِصْبُها أم مُحُولُها

أنارَ[3] به بِسطامُه[4] ومحمدٌ ... قِمامٌ[5] عَلَى يُعيِي الملوكَ حُلولُها

---

(١) المكان الوحش : القفر .

(٢) أورد المعري البيت في (عبث الوليد) هكذا :

فتى لم يَمِل بالنفس فيه عن العلى ... إلى غيرها شيءٌ سواه يُميلُها

ثم علّق عليه بقوله : « كان في النسخة — يعني التي كانت تُقرأ عليه — « شيءٌ سواه » والمعنى صحيح إن كانت الرواية على ذلك ، كأنه يريد أنّ هذا الرجل إذا لم يُسأل شيئاً ، أو تُورّد منه معونة ، فهو يميل نفسه إلى البر والأفعال الحسنة وإن لم يُسأل ولم يُستمن ، وهذه المذكورات كلها شيء هو غير الممدوح ، والهاء في (سواه) راجعة عليه . »

(٣) في (عبث الوليد) : « كان في النسخة (أناب به) وهي كلمةٌ نافرةٌ في هذا الموضع ، ولو أنها (أثاب) لكانت أشبه ... وفي بعض النسخ (أناف) وهو أشبه بمذهبه » .

(٤) جد الممدوح ، واسم الممدوح أحمد بن محمد بن بسطام .

(٥) في (عبث الوليد) : « في النسخة (القمامُ) مرفوعة ، وإنما يجوز ذلك إذا جُعلت بدلاً من (بسطام ومحمد) ، والمعنى يصحّ على ذلك إلا أنه بعيد ، والأحسن أن يكون (أَبَنّ) في موضع (أناب) أي أقام ولزم ؛ (قمامُ عُلّىً) يُنصب بوقوع الإبنان عليها ؛ وقد أساء البحتري في قوله (قِمام) لأن المعروف (قِمم) إلا أن زيادة الألف هاهنا جائزة ، تُشبَّه بقِلال وقِباب . »

له هِمَمٌ لا تملأُ الدهرَ صدرَهُ ... يَضيقُ بها عرضُ البلادِ وَطُولُها
إذا لاحظ الأحداثَ عن حدِّ سُخْطِهِ ... تضاءل عند اللَّحْظِ خوفاً جَليلُها
لقد أُعْطِيَتْ منه الرعيةُ فوق ما ... تَرَقَّتْ أمانيها إليه وَسُولُها[1]
نَفى الجورَ بالعدلِ المُبينِ فأصبحتْ ... معاهدُه لم يبقَ إلاّ مُحيلُها[2]
فأثرى به مِن بَعْدِ بُؤسٍ عديمُها ... وعزَّ به مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ ذَليلُها
وسارعَ طَوْعاً بالخراجِ أبيُّها ... وعاد حليماً بعد جهلٍ جَهُولُها
وما زال ميمونَ السياسةِ ناصحاً ... له شِيَمٌ زُهْرٌ يَقِلُّ عَديلُها
يَنالُ بحُسْنِ الرِّفقِ ما لو يرومُه ... سِواهُ ببيضِ الهندِ خيفَ فُلولُها
له فِكَرٌ عند الأمورِ يُرينَهُ ... عواقبَها في الصَّدْرِ حينَ يُجيلُها[3]
تتابعُ منه كلَّ يومٍ فضيلةٌ ... يفوتُ ارتدادَ الطَّرْفِ سَبْقاً عجولُها
إذا كرَّها بالبرِّ منه أعادها ... على النهجِ محمودُ السجايا جميلُها
له نبعةٌ في العزِّ طالتْ فروعُها ... وطابَ ثَراها واطمأَنَّتْ أُصولُها

---

(١) سولها مخففة من (سُؤْلها) وهو ما تسأله وتطلبه .

(٢) دار مُحيلة : غاب عنها أهلها منذ حول ، وكذلك إذا أتت عليها أحوال .

(٣) في مدائح البحتري الأخرى لأبي العباس مثل هذا المعنى ، كقوله :

وذو هاجسٍ لا يُحجبُ الغيبُ دونه ... تُريه بطونَ المشكلاتِ ظهورُهـا

(الديوان — الجوائب : ٢/١٣٨) .

ولو وُزنت أركانُ رَضوى ويذْبُلٍ	وقُدْسٍ (١) به في الحِلم خفَّ ثقيلُها
له سَطَواتٌ كلَّ يومٍ وليلةٍ	على مُهَجِ الأعداء لا تستَقيلُها (٢)
إذا جارت الآمالُ عن قَصْدِها اغتدى	إليها نَداهُ الجَزْلُ وهْوَ دَليلُها
ولمّا شأى (٣) في المجدِ سَبْقاً تقدَّمتْ	له في مداهُ غرَّةٌ وحُجُولُها (٤)
سليلُ المعالي والفخارِ وإنّما	يَتيهُ ويُزهى بالمعالي سليلُها
فِداكَ أبا العباسِ مِنْ كلِّ حادثٍ	من الدهرِ مَنْزُورُ العطايا مَطُولُها (٥)
فكم لكَ في الأموالِ من يومِ وقعةٍ	طويلٍ من الأموالِ فيه عَويلُها
ومِنْ صولةٍ في يومِ بُؤْسٍ على العدى	يُهالُ (٦) فؤادُ الدهرِ حين يَصولُها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) رضوى ويذبل وقدس جبال مشهورة في الجزيرة العربية ، أولها بالحجاز على سبع مراحل من المدينة (معجم البلدان – بيروت : ٣/ ٥١) والثاني والثالث في نجد (معجم البلدان : ٥/ ٤٣٣ و ٤/ ٣١١) .

(٢) لا تُقيلها ولا تنساها .

(٣) شأى القومَ : سبقهم .

(٤) الغرة بياض في جبهة الفرس والحجول بياض في قوائمه .

(٥) منزور العطاء : الرجل الذي ألحّ عليه في طلب العطاء ، والمطول : الكثير المطل .

(٦) هاله الأمر : أفزعه وعظم عليه .

إليك سَرَتْ غُرُّ القوافي كأنّها كواكبُ ليلٍ غاب عنها أُفولُها
بدائعُ تأبى أن تدينَ (١) لشاعرٍ سوايَ إذا ما رامَ يوماً يقولُها (٢)
تزولُ الليالي والسُّنونَ ولا يُرى على العهدِ طولَ الدهرِ شيءٌ يُزيلُها
يُهيِّجُ إطرابَ (٣) الملوكِ استماعُها فيُحْمَدُ راويها ويحيا قَؤُولُها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) في (عبث الوليد) : تبينَ .

(٢) يقول المعري في (عبث الوليد) : «أراد البحتري (أن يقولها) فحذف (أن) وهو جائز ، إلا أنه رديء ، ومن جنسه قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وان أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وبعض الناس يفرّ من حذف (أن) فينشد :

ألا أيُّها اللاّحِيُّ أن أحضرَ الوغى ... »

(٣) أطربه إطراباً : حمله على الطرب .

ملاحظات ونظرات

١ — هذه القصيدة واحدة من ثلاث لا تزال مخطوطة ، قالها البحتري في مديح أبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام ، وفي ديوان البحتري المطبوع سبع قصائد أخرى في مديحه ، فابن بسطام إذاً أحد كبار ممدوحي البحتري ، وقد قدّمنا ترجمته ، ورجّحنا أن يكون اتصال الشاعر به قد تمّ في الشآم أولاً ثم ازدادت الصلة توثقاً في العراق ، لقول البحتري لممدوحه من قصيدة :

فكنّا بالشآم — إخالُ — خيراً لِرَعْيِ الودّ منّا بالعراقِ

(الديوان — الجوائب : ١/١٣٥) .

٢ — ليس من السهل تحديد تاريخ نظم القصيدة ، فليس فيها ما يعيننا على تأريخها ، غير أننا نميل إلى الظن بأن القصيدة ثمرة الصلة الأولى بين الشاعر وممدوحه في الشآم ، ذلك أن البحتري لا يشير فيها إلى الأعمال الرسمية المهمة التي أصبح يقوم بها في العراق ، واتصال الشاعر بممدوحه في العراق يعاصر ثورة الزنج ، لأنه يتحدث عنها في إحدى مدائحه لابن بسطام آنذاك (الديوان ـ الجوائب : ١/١٢٧) وفي قصيدة أخرى يشير البحتري إلى أن عمره أوفى على الخمسين (الجوائب : ٢/١٣٨ — ١٣٩) وهذا كله يؤكد أن اتصال البحتري بممدوحه في العراق كان حوالي ٢٥٦ هـ ، أي في المرحلة التي قضاها الشاعر في العراق بعد المتوكل ، وعلى هذا تكون القصيدة قد نظمت قبل سنة ٢٤٧ هـ ، وهي السنة التي قتل فيها المتوكل .

٣ — تقع القصيدة في ثلاثة أقسام متميزة : نسيب ومديح وفخر بالشعر ، أما النسيب فيشغل الأبيات (١ — ٧) وهو غزل تشيع فيه حرارة قلب شاب ، متقد اللوعة ، فياض الدمع ، على الرغم من أن صوره كلها تقليدية لا جديد فيها .

وأما المديح فيشغل الأبيات (٨ — ٣٢) وقد مجد الشاعر فيه كرم الممدوح (فهو يعطي الجزيل حتى يبيت مستميحوه هانئي البال وقد تحققت آمالهم) وشرفَ نسبه (فأبوه وجده رفعا له أعلى الذرى ، وشجرة عزه طويلة الفروع طيبة الثرى مطمئنة الأصول ، وهو سليل المعالي والفخار) وشجاعته وحلمه وعقله (فله في أعدائه وقعات وسطوات ، وهو يفوق الجبال رزانة وتعقلا) وإلى هنا يوفّي البحتري أقانيم المديح التقليدية الثلاثة حقها (الكرم وشرف النسب والشجاعة) ويضيف إلى ذلك تمجيد همة ممدوحه وحسن تدبيره وسياسته للرعية ، فقد حقق لها أمانيها ، وأزال عنها الظلم بعدله ، فأثرى بفضله العديم ، وعزّ بقوّته الذليل وأسرع الناس يدفعون الخراج ، ويدعون الجهل والطيش ، راضين مطمئنين .

وأما الفخر بالشعر فيشغل الأبيات الباقية (٣٣ — ٣٦) فقوافي البحتري غر كالكواكب ، وقصائده بدائع لا تدين لغيره ، وهي خالدة تتناقلها الألسن ، تُعجب وتُطرب آذان الملوك ، فيحمدون لذلك راويها ويحمدون قائلها .

٤ — أبرز مميزات القصيدة موسيقاها الذهبية الصافية ، فهي من ذلك النمط الغنائي الرفيع الذي من أجله سموا شعر البحتري « سلاسل الذهب » وقد أغنى البحتري قصيدته بالتلوينات الصوتية من جمل مترادفة وجمل متوازنة ، وألوان منسجمة من الطباق والجناس ، ولا نلتمس الأمثلة لذلك فالصنعة تفيض في القصيدة ، ولكن الذي خفف من كثافتها عفويةُ الطبع الغلاب وموسيقية فن البحتري المعجزة .

٥ — القصيدة إذاً من جيد شعر البحتري ورائعه ، وهي لا تتأخر عن أجود المختار له ؛ وهذا كله يزيد حسرتنا في أن تظل مثل هذه القصيدة البحترية الفريدة دفينة المخطوطات إلى اليوم .

- ٧ -

وقال البحتري [١] يمدح خمارويه [٢] بن طولون :

تفتا [٣] عُجباً بالشيء تذكُرُه وإن تولّى وانقضى عُصُرُه

---

(١) القصيدة من المنسرح ، عدد أبياتها ٣٧ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس : الورقة : ١٩٦ و – ١٩٧ و ، ونسبة القصيدة إلى البحتري مؤكدة ، فكثير من كتب الأدب يورد بعض أبياتها ، ففي كتاب التشبيهات لابن أبي عون (مطبعة كيمبردج) ص ٧٩ نجد الأبيات ٣ – ٦ و ص ٣١٩ نجد البيتين ٣١ و ٣٢ ؛ وفي عبث الوليد للمعري ص ١١٦ نجد الشطر الأول من المطلع والبيت التاسع ؛ وفي طيف الخيال للشريف المرتضى (مخطوطة) نجد الأبيات ٣ – ٦ نقلاً عن (الموازنة للآمدي) ولا نجد الأبيات في الموازنة المطبوعة (وطبعات الموازنة إلى اليوم كلها ناقصة) ؛ وفي معجم البلدان لياقوت (بيروت : ١/١٩٢) نجد البيتين ١٦ و ٢٠ ؛ وفي المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام للجرجاني (الطرائف الأدبية بتحقيق الميمني ١٩٣٧ : ص ٢٤٩ نجد الأبيات ١٣ و ٣١ و ٣٢ ؛ وقد أورد الدكتور محمد صبري القصيدة إلا البيت ٣٤ منها في كتابه القيم عن البحتري في سلسلته (الشوامخ) نقلاً عن مخطوطة خاصة يملكها للديوان ، وعلى الرغم من استفاضة شهرة هذه القصيدة فإن الديوان في طبعاته الثلاث لا يحويها !

(٢) قدّمنا ترجمته في العدد الأول من المجلد ٣٤ من مجلة المجمع (كانون الأول سنة ١٩٥٩ ص ١٠٢) .

(٣) في عبث الوليد : « تفتأ من قولهم ما فتئ أي ما زال وهذا رديء جداً لأن (لا) إنما تحذف في القسم خاصة لأنّ مكانها قد عرف هنالك فاستغنى السامع –

ذكرت من واسطٍ [١] وبارحها ... ليل السواجير [٢] ساجياً سَحَرُه
وزائراً [٣] زار من أعِقّتِهِ [٤] ... يميل [٥] وزناً بأنسه ذُعْرُه [٦]
كأنه جاء مُنْجزاً عِــدَةً ... وبتُّ في الراقبين أنتظِرُه
لم أنسه مُوشِكاً على عجلٍ [٧] ... مُداجياً في الحديث [٨] يختصِرُه

— أن تذكر له ... وليس في بيت أبي عبادة ما يدل على القسم ... وقد جاء في شعر بعض العلماء (قنئت) مهموزاً ، ولو رويت (تقنأ عجباً) لكانت أبين وأسوغ في قياس العربية » ومعنى تقنأ : تكذب وتملث .

(١) يذكر ياقوت أن للعرب سبعة أواسط في أقطار متفرقة ، ولكن البحتري يريد هنا واسط الحجاج بالعراق ، لأنه كان هناك قبل قدومه على خمارويه ، وسميت واسط الحجاج لأن الحجاج بناها ، ولأنها متوسطه بين البصرة والكوفة (معجم البلدان ٥/ ٣٤٧) .

(٢) السواجير : نهر من عمل منبج بالشام كما يقول ياقوت (معجم البلدان : ٣ / ٢٧١) وليس في منبج اليوم نهر ، ولعله أقنية المياه الرومانيــة القديمة آنذاك ، ومن عادة البحتري أن يطلق (السواجير) ويريد بلده منبج (أخبار البحتري : ١٣١) .

(٣) في (طيف الخيال) : وزائرٍ .

(٤) جمع عقيق وهو الوادي وكل مسيل ماء شقه السيل قديماً فوسّعه .

(٥) في (تشبيهات ابن أبي عون) : يخلط .

(٦) إنما يريد به أن ذعره أرجح وأزيد من أنسه (طيف الخيال) .

(٧) في مخطوطة صبري : وجل .

(٨) في (طيف الخيال) : لحديث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كأنما الكاشحونَ قد خَرصوا[١] مكانَه أو أتاهمُ خَبَرُهْ
وقد دعا ناهياً فأَسمَعَني وَخطُ[٢] على الرأسِ مُخْلِسٌ[٣] شَعَرُهْ
شيبٌ أرتني الأسى أوائلُهُ فليت شِعري ماذا تُري أُخَرُهْ
صغَّرَ قَدْري في الغانياتِ وما صغَّر صَبّاً تَصغيرَه كِبَرُهْ[٤]
ولي فؤادٌ دَنَتْ إفاقَتُهُ فانزاحَ إلاّ صُبابةً[٥] سُكُرُهْ
بَيْنَ التكالُفِ[٦] والنزوعِ فما تأخذه لوعةٌ ولا تَذَرُهْ
كلُّ امرىءٍ مُرْصَدٌ لِعاقبةٍ سامٍ[٧] إليها رجاءَه حَذَرُهْ

---

(١) إنما يريد أنهم قد حزروا مكانه ، وسبق ظنهم اليه ، من الخَرْص الذي هو حَزْرُ ثمرة النخل ، لا من الخَرْص الذي هو الكذب . (طيف الخيال) . وفي المحيط : كم يخرصُ أرضك ؟

(٢) وَخَطه الشيبُ : خالط سوادَ شعره .

(٣) أخلس الشعر : ابيض بعضه فهو مُخلِسٌ .

(٤) يقول المعري في (عبث الوليد) تعليقاً على البيت : « هذا شيءٌ يجترئُ عليه البحتري لسعة بحره في القريض ، وكان لا يحفل بضرورة ولا حذف ، وغرضه في هذا البيت : وما صغَّر شيءٌ [صباً] مثلَ ما صغَّره كِبَرُه ، والهاء في (تصغيره) راجعة على الصب ، وقد حذف اسم الفاعل الذي يرتفع بصغَّر اعتماداً على علم المخاطب بذلك » عبث الوليد : ١١٦

(٥) الصبابة : البقية القليلة .

(٦) من كَلِفَ الأمرَ : تجشمه على مشقة وعُسرة ، والواحدة : تكالفة .

(٧) في (الأصل) : ساوى ، وأثبتنا رواية مخطوطة صبري .

لا تَسْخَطِ المَصْعَدَ المهُولَ إذا   كان إلى ما ترضاهُ مُنْحَدَرُهْ

تَثُوبُ[1] حالُ الفتى وإن لجّ صر   فُ الدهرِ يَجني عليه أو يَتِرُهْ[2]

ثَوْبَ[3] ذي الأَثرِ[4] إنْ يُعِدْ صَنَعٌ[5]   له صِقالاً يوماً يَعُدْ أَثَرُهْ

هل يُلْقِيَنِّي إلى رِبَاعِ[6] أبي الـجيشِ[7] خِطَارُ[8] التغويرِ[9] أو خَطَرُهْ[10]

مُخَيِّمٌ في دمشقَ من دونه الـخَرْقُ[11] بعيدٌ من وِرْدِهِ صَدَرُهْ

أعارَها مِنْ ضِيائهِ وغدا   فخراً لها مجدُهُ ومُفتَخَرُهْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) في مخطوطة صبري : تبين .

(٢) وتره يَتِرُه : أفزعه وأصابه بظلم أو مكروه .

(٣) في مخطوطة صبري مكان (ثوب ذي الأثر) نجد (إبانة السيف) .

(٤) ذو الأثر : السيف ، والأثر : جوهر السيف .

(٥) الصَنَع : الحاذق الماهر في الصنعة .

(٦) في الأصل : الأمير ، وفضلنا رواية مخطوطة صبري ومعجم البلدان .

(٧) هو خمارويه ، و (جيش) أكبر أولاده وخليفته من بعده (انظر مجلة المجمع العدد الأول من المجلد ٣٤ ص : ١٠٨ (ك ٢ : ١٩٥١) .

(٨) خطار : أن تخطِر الناقةُ بذنبها في السير نشاطاً ، ومنها الناقة الخطّارة التي تضرب بذنبها يميناً وشمالاً .

(٩) التغوير : السير في الغور ، وهو ما انحدر واطمأن من الأرض .

(١٠) عند ياقوت : غرَرُهْ : وهو كالخطر : التعريض للهلاك .

(١١) الخرق : الأرض البعيدة الواسعة تتخرّق فيها الرياح ، والفلاة الواسعة .

كاد دُجى الليل مِنْ طلاقتهِ يُقْمِرُ والأفقُ ساقطٌ قمرُهْ
وبينَ أُسوانَ[١] والفراتِ[٢] زَهتْ رعيّةٌ ما يُغبُّها[٣] نظرُهْ
يبلغُ أقطارَهـــا ، وتعلمُهُ مُجتمعاً في صلاحِها وَطَرُهْ
يَقْصُرُ شأْوُ الملوكِ عن مَلِكٍ نُجِلُّهُ دونَهم ونَجْتَهِرُهْ[٤]
أغرُّ منهم والشهرُ آنَسُهُ لِطالبِ ذي لُبانةٍ غُرَرُهْ[٥]
والصُّنعُ[٦] إذ يرتجيه آمِلُهُ مُرجًى إلى أن يسوقَهُ قَدَرُهْ
كالسَّهمِ لا يَكتفي بوَحْدَتِه الـــقانِصُ حتى يُعينَهُ وَتَرُهْ
وقد كفى غَولَ[٧] دَهرِهِ جَبَلٌ يَعظُمُ عن أهلِ دَهرِهِ خَطَرُهْ

---

(١) مدينة كبيرة في آخر صعيد مصر على النيل في شرقيه (معجم البلدان : ١/ ١٩١) .
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢) في (معجم البلدان) : العراق .

(٣) غبَّ القومَ وأغبَّهم : جاءهم يوماً وتركهم يوماً ، والمعنى أن نظره لا ينقطع ، وعنايته بهم دائمة .

(٤) ننظر إليه جهاراً نستعظمه ، ويبدو أن في مثل هذا القول تعريضاً بالعباسيين . ويقول البحتري لخمارويه أيضاً في قصيدة أخرى لا تزال مخطوطة :

أراك تزيد في عيني وقلبي إذا نقصت موازين الرجال

(مخطوطة باريس : الورقة ٣١٤ ظ) .

(٥) الغُرَر : ثلاث ليالٍ من أول الشهر .

(٦) الإحسان والرزق .

(٧) مشقة .

يُخشى شَذاهُ [١] وغيرُ مُغتبطٍ   نفعَ مُرجّى لا يُختشى ضَررُهْ
إنْ سارَ عادَ النهارُ من رَهَجٍ [٢] الزّ (م) حوفِ [٣] ليلاً يسودُّ مُعتكِرُهْ [٤]
فالجوُّ كابي الأرواقِ [٥] أكلَفُها [٦]   والماءُ طَرْقٌ [٧] نميرُهُ كَدِرُهْ
عِبءٌ على الواصفين تُؤثَرُ أخـــبارُ   نداهُ وتُقتفى سِيَرُهْ
إذا علا في بهاءِ منظرِهِ   أربى عليه في الحُسنِ مُختَبَرُهْ
كالغيثِ ما عَينُهُ ببالِغَةٍ   بعضَ الذي راحَ بالغاً أثَرُهْ
لنا عتادٌ مما يراه لنا   نُنفِقُهُ تارةً ونَدّخِرُهْ
يثلمُ في وَفْرِ [٨] لابسٍ مِقَةً [٩]   يكادُ حُباً بحظّه يَفِرُهْ [١٠]

---

(١) الشذا : الأذى والضر .

(٢) الرَّهْجُ والرَّهَجُ : ما أثير من الغبار .

(٣) في مخطوطة صبري : الزحف ، ولا يستقيم بذلك وزن البيت ، ولم ينتبه الدكتور صبري إلى ذلك .

(٤) اعتكر الليل : اشتدّ سواده .

(٥) جمع رَوْق وهو الرواق ، ورواق الليل ظلمته .

(٦) الأكلف مَن به كُلْفة أي حمرة كدرة أو سواد أشرب حُمرة كالسُّفعة .

(٧) الماء المجتمع الذي خوّضت الإبل فيه وبوّلت .

(٨) الوَفر : المال الوافر .

(٩) كذا في الأصل ، ولم يرد البيت فيما نقله الدكتور صبري من القصيدة .

(١٠) وفر المالَ يفِره : صانه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أزهر والروضُ (١) لا يروقُكَ أو يحكي مصابيحَ ليله زَهَرُهْ

يُخيلُ (٢) حتى ترى النجاحَ على ظاهرِ بشرٍ مُبينةٍ بُشَرُهْ (٣)

والغيمُ محبوكةً طرائقه أحجى من الصحو يُرتجى مَطَرُهْ

* * *

ملاحظات ونظرات

١ – كنا ذكرنا في ملاحظاتنا على القصيدة الأولى في هذه السلسلة من المختارات (العدد الأول من المجلد الرابع والثلاثين من مجلة المجمع) أن للبحتري أربع قصائد في خمارويه بن أحمد بن طولون لا يحويها الديوان في طبعاته الثلاث، وقدّمنا هنالك أولى هذه القصائد، وهذه ثانية أردنا أن نقدمها إلى القراء، ليروا فيها لوناً جديداً من صياغة البحتري، تغلب فيه الصنعة الحاذقة حظّ الطبع، وتظل مع ذلك في الطبقة الرفيعة من فن البحتري.

٢ – وكنا ذكرنا أن اتصال الشاعر بالأمير الطولوني بدأ منذ سنة ٢٧٩ هـ فتاريخ نظم القصيدة إذاً يقع في المرحلة الأخيرة من حياة البحتري.

٣ – تلاحظ في القصيدة أقسام ثلاثة: نسيب وحكمة ومديح.

أما النسيب فهو يبدؤه بتصوير حنينه إلى بلده منبج ولطيف ليله وسحره وهو غريب عنه في واسط العراق، ثم ينتقل إلى الغزل بالطيف الزائر ليلاً، وللبحتري شهرة بوصف طيف الخيال، ولهذا وقف الشريف المرتضى في كتابه «طيف الخيال»

(١) في مخطوطة صبزي: والليل.

(٢) يُبشّر بالخير، وتقول: أخيلت السماء: تهيأت للمطر.

(٣) جمع بشور وهي البشارة.

عند هذه الأبيات وقفة خاصة ، وإن يكن قد قال في آخرها «وهذه الأبيات ليست خالصة لوصف الطيف ، بل يجوز أن يكون المراد بها زائراً زار في اليقظة ، فالكلام محتمل في الطيف وغيره» ويحق للبحتري بعد ذلك أن يذكر شيبه ، وهو يقول القصيدة وقد أربى على السبعين من عمره ، وذكره لشيبه الذي صغّر من قدره عند الغواني يدفعه إلى إعلان شكواه من قلبه السادر في ضلاله وغوايته على الرغم من مشيبه .

وأما الحكمة فيسكب فيها الشاعر الشيخ شيئاً من عصارة تجاربه في الحياة ، فلكل إنسان عنده مهيأ لما قُدّر عليه ، وهو لذلك بين راجٍ وحذر ، وعلى الإنسان ألا ينضب للطريق الممهدة المخيفة إذا كان يخدرها يؤدي به إلى ما يرضاه ؛ وحال الإنسان — كلما ألحت عليه مصائب الدهر — كالسيف يعود إليه أثره إذا جلاه الحاذق الصناع .

وأما المديح فقد أغناه الشاعر بتمجيد ممدوحه في طلاقته وحسن سياسته للرعية وفي شجاعته وكرمه ، فخمارويه مقيم في دمشق ، وقد أنارها من ضيائه ، وأقمر الليل فيها من طلاقته ، ورعيته من أسوان في أقصى مصر إلى مشارف العراق على الفرات زاهية بحسن تدبيره وجميل سعيه في صلاحها ، وخمارويه يفضل الملوك ، فهو غرة بينهم ، وهو شجاع يقود العسكر اللجب ، ويزحف به فيعتكر النهار ، ويصير ليلاً من كثرة الغبار ؛ وخمارويه كريم تؤثر أخبار نداه ، وتتناقل سير جوده ، ويُعطي من ماله الوافر ، وطلاقة وجهه الدائمة تبشر العفاة بالخير المقبل كما يبشر الغيم بالمطر المرجو .

٤ — يجب أن نلاحظ أيضاً أن الشاعر يسكت في هذه القصيدة مرة أخرى عن تمجيد رفعة نسب ممدوحه ، وكنا ذكرنا أن إثارة ذلك يصل بالشاعر إلى والد خمارويه ، أحمد بن طولون ، وموقف البحتري من أحمد هذا لا يعينه على أن يذكره بخير ، كما قدمنا .

٥ — لاحظنا في بعض الأبيات تعريض البحتري بالعباسيين ، فهو يفضل خمارويه على غيره من الملوك ، ويخصه منهم بالتجلة والتعظيم (البيت ٣٢ وتعليقاتنا عليه) وقد ذكرنا في مقدمتنا لكتاب (أخبار البحتري) أن من أسباب ضياع شعر البحتري في بني طولون ورجالهم ما فيه من تعريض بالعباسيين ، فقد كان « الطولونيون دعاة استقلال وانفصال عن الخلافة المركزية ، وكل دعم لخمارويه هو في حقيقته دعم لهذه الميول الانفصالية التي ينكرها العباسيون ، ويخوضون الحروب من أجلها » ولم يكن باستطاعة الصولي وغيره ممن جمعوا شعر البحتري من العراقيين أن يذيعوا شعراً في تمجيد دولة الطولونيين ، وبخاصة إذا كان فيه مثل ما ذكرناه من التعريض الظاهر بغيرهم . (انظر أخبار البحتري : ٨ — ٩) .

٦ — تمتاز القصيدة بكثافة صنعتها ، حتى ليقف القارئ أمام بعض أبياتها حائراً ، لا يكاد يتبين معانيها أول وهلة ، والعجيب أن يحمل الشاعر نفسه في شيخوخته على مثل هذا الجهد الفني المصنوع ، وأن يصبر عليه ؛ ونلخص الحكم على القصيدة بما قاله قبلنا الشريف المرتضى فيها : « هذه الأبيات الرائية معانيها أجود من ألفاظها ، وتظهر فيها بعض كلفة الصنعة ، وهي مع ذلك في غاية الحسن » .

جامعة دمشق — كلية الآداب

الدكتور صالح الأشتر

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

— ٩ —

الفصل الحادي عشر

القول في القوة الناطقة

وقد يجب أن نفحص عن القوة الناطقة ، وأي قوة هي ؟ وما هي ؟ وهل هي نفس ؟ أو قوة لنفس ؟ فإن كانت قوة لنفس على ما يظن فعلى أي جهة تنسب انها للنفس . ويجب أن نفحص عن هذه القوة هل هي دائما فعل [(١)] أو هي تارة قوة وتارة فعل . فإن كان ذلك فلها هيولى ، وإن كان لها هيولى فلها محرك إذ كل متحرك فله محرك . فما هذا المحرك [(٢)] ؟ وأي وجود وجوده ؟ ويطابق بذلك كله المتعارف من أمرها وما يشاهد بالحس من أحوال الجسم الطبيعي التي هي له . فإن ذلك مما يفيد الناظر أشياء مما [(٣)] تقال فيسدده ذلك ذلك الوقوف بنفسه على النفس في ذلك كله .

وأما أنها ليست دائمة بالفعل ، وذلك بين فإنه لو كان كذلك لكان التعلم تذكرا [(٤)] ، ولكان التعلم غير مفتقر إلى الحس [(٥)] . ولكان إذا نقصنا حاسة

---

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ١٨٠٨١ .

(٢) أيضا ص ١٦٠٦٦ .

(٣) المخطوطة : بما .

(٤) ايضا ص ٢٠٨٠ .

(٥) قارن ارسطو : De An. iii. 8. 432 a 6 ، « فلا يمكن لأحد ان يتعلم عند عدم الحاسة » .

من الحواس لم ينقصنا علم من العلوم والأمر بخلاف ذلك [1] . وإذن فلكان سينتفع لها العلم بوجود أشياء تسند الى المحسوس من غير أن يحسها حتى يكون من لم يحس الثقل يقع له اليقين بأنه بجميع الصفات التي من شأن من أحسه أن يقع له اليقين بها ، وهذا فبيّن والتطويل فيه فضل ، وقد تلخص ذلك في مواضع كثيرة .

وأما أنها دائمًا بالقوة فذلك أيضًا محال لأنه [2] يحدث للانسان علوم إما بالحس كما يوجد ذلك لأهل الصنائع العملية وإما بالتعلم .

<فبيّن> (ورقة ١٦٤ ب) أنها تارة بالقوة وتارة بالفعل والخروج من القوة إلى الفعل تغير ، فهناك مغير لأن كل متحرك فله محرك ، وقد لخصنا هذا فيما تقدم .

والقوة الناطقة هي التي بها يدرك الإنسان آخر مثله على ما يحس في نفسه [3] . وهي [4] بالجملة إخبار أو سؤال أو أمر ، والسؤال فهو اقتضاء اخبار ، والاخبار تعليم ، والسؤال تعلم . وهذه القوة هي التي بها يعلم الإنسان أو يتعلم . وهذه الأقسام الثلاثة إنما تكون إذا كان الإنسان على المجرى الطبيعي . فالنطق بألفاظ يخطر بالوضع تلك المعاني التي تهجس في نفس الناطق بها . والنطق في لسان العرب يدل عندهم أولاً على التصويت بألفاظ دالة على معان . ثم يستعمل على التصويت بالألفاظ وهذه غير دالة ولذلك قال الشاعر :

---

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ٩٠٧٩ .
(٢) المخطوطة : لا يحدث .
(٣) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : القوة المتخيلة الموجودة في الانسان بالفعل هي القوة التي يجدها الإنسان في نفسه يرسم فيها رسوم المحسوسات ويتصور بها ويحضر للانسان فيها رسوم من المحسوسات متخيلة بعد غيبتها عن الحواس فيرى الإنسان فيها صفة زيد وعمرو وصفة داره وذاته وغير ذلك من المحسوسات المشار اليها .
(٤) المخطوطة : وهو .

« لم يَمنع(١) الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال(٢) »(٣)

وقد يستعملون النطق على غير ذلك وقد أحصى ذلك أهل اللغة في لسانهم . ولما كان ذلك انها(٤) تكون لهذه القوة آلة تقدمنا ورسمنا لها ، كان فعلها أولى بالنطق ، فنقل إليها المتفلسفون هذا الاسم ، ورسمنا القوة التي فيها القول . ونريد أن نلخص ما هي وعمّا هي ؟ فإن فحص المتقدمين إنما كان عن هذه وهل هي مائية(٥) أو غير مائية وليس بعسر على من أراد إحصاء الآراء التي رآها من تقدم . فان جلها مشهورة ولذلك نسقط فيما نحن بسبيله إحصاءها والتفحص(٦) عنها ونقتصر على ما يُوجبه ما يعلم الانسان من أمرها بالطبع . فإن الآراء التي قيلت فيها ليست من هذا النحو بل إنما هي ظنون [أكثر منها عند من قال بها اما بعض هذه ، واما آراء مشهورة] ، فالفحص عن تلك الآراء إمّا أن يوقف من أمرها على حال ما أو يقف بالإنسان على موضع غلط القايل بها . وذلك نحو من أنحاء الرياضة الجدلية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) المخطوطة : لم يطرب .

(٢) المخطوطة : أوراق .

(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي قيس بن الأسلت وقبله :

ثم ارعويت وقد طال الوقوف بنا فيها فصرت الى وجناء شملال
تعطيك مشياً وارقالاً ودأدة اذا تسربلت الآكام بالآل
تردى الإكام اذا صرّت جنادبها منها بصلب وقاح البطن اعمال

راجع الكتاب لسيبويه (هارتويج ديرينبورج ، بيرس) ج ١ ، ص ٣٢٢ ، لسان العرب لابن منظور (« النطق » حرف القاف ، ص ٢٣١) ، الخزانة للبغدادي ج ٢ ص ٤٥ ، ج ٣ ص ١٤٤ .

(٤) المخطوطة : انما .

(٥) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٦٦ : « وانها انما تتعطل افعالها في الصبا لأنها مغمورة بالرطوبة » ، وابن باجة : رسالة الاتصال (المصدر نفسه) ، الاهواني ص ١٠٧ : « وهل هي موجودة في الطفل وغيرتها الرطوبة أو تحدث بآخرة » .

(٦) المخطوطة : السعى .

فنقول : إن من الأمور الظاهرة بأنفسها ان الإخبار والاستحالة إنما يكونان بقول جازم[١] وقد تلخص في بارمينياس ماالأمر الجازم ، وانه مركب من محمول وموضوع . فبالضرورة يوجد في الإنسان قوتان : أحدهما وجود المعاني المفردة[٢] والثاني تأليف هذين المعنيين . فالقوة التي يكون بها هذا التأليف هي القوة المفكرة وفعلها أنواع تأليف المعاني المفردة[٣] ، وقد أحصيت في كتب المنطق والثاني القوة التي بها تحصل المعاني المفردة وهـذه[٤] كالهيولى (ورقة ١٦٥ الف) لتلك[٥] فانه متى لم توجد المعاني المفردة لم يمكن أن يكون تركيب ، فهذه متقدمة لتلك بالطبع .

والمعاني المدلول عليها بالألفاظ على ما عدد في مواضع كثيرة ضربان[٦] : كليات وأشخاص . فالقوة التي بها تدرك الأشخاص هي القوة المتخيلة على ما تبين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ١٩٩ الف س ١٠ : والقول التام اجناسه عند كثير من القدماء خمسة : جازم وأمر ، وطلبة ونداء . لأنه قد يمكن ان يوجد بطريق آخر فيكون أكثر ، والتمني وما يجري مجراه جار مجرى الجازم لأنه لم يتغير فيه الجازم بل بقي على حاله زيادة .

(٢) المخطوطة : المفكرة .

(٣) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : وكذلك وجود القوة الناطقة يجدها الانسان في نفسه ويعلمها علماً يقيناً لا يشك فيه بشيء من التثبت وذلك انا نجد في أنفسنا ما يتميز به وينفصل عن سائر الحيوان المتغذي الحساس : فان الانسان يجد في نفسه معلومات يحتوي على ميز الجميل والقبيح والنافع والضار . . . ويميزها . ويجد في نفسه أموراً يرى صدقها لا يشك فيـه وأموراً على ما هي ظن ، وأموراً هي كذب لا يجوز في الوجود ، كل هذه المعلومات يجدها الإنسان في نفسه . وهذه المعاني المعلومة في النفس تسمى نطقاً ، وما يوجد في الإنسان يسمي ناطقاً .

(٤) وفي المخطوطة زيادة : لم يمكن أن يكون تركيب .

(٥) المخطوطة : لذلك .

(٦) قارن ابن رشد : تلخيص ، الأهواني ص ١٠٠٦٧ ؛ حيدراباد ص ١٣٠٦٢

قبل هذا . وأما الكليات فهي [1] لقوة أخرى [2] وبين أنها ليست للحس . وان الحس لا يدرك < إلا > الأشخاص . والكليات معان أخر . لأن الكلي معنى واحد من ساير < ما يقال > ان يوجد الكثيرين وليس اشخصين كذلك . ولأن كل قضية ، لما أن تكون مؤلفة من شخصين ، فهي قليلة الاستعمال . ومنقول فيما بعد . وأما التي من شخص وكلي فهي [3] توجد كثيراً في الكهن [4] وفي الخطابة والشعر . وأما التي من كليتين فهي تعم جميع الصنائع وهي التي تسمى علوما على الاطلاق وعلى التقديم ، فإذن ماله مثل هذا المبدأ يكون ناطقاً و < لو > بالقوة ، وعلى هذه يقال للانسان .

وهذه الكليات هي معان معقولة . وانما تصير كليات [5] باضافتها الى الأشخاص الموضوعة لها وكذلك معنى الشمس والقمر . وبالجملة فماله شخص واحد هي معان معقولة وليست بكليات الا على طريق التشبيه ويقال لهذا كليات بالتأخير .

وهذه المعقولات إما أن تكون أولية أو حادثة .

إلى هنا انتهى الموجود من قوله رحمه الله < تعالى > .

***

(١) المخطوطة : فهو .

(٢) ابن رشد ، ص ١٠٦٨ ، حيدرآباد ص ١٥٠٦٣ .

(٣) المخطوطة : فهو .

(٤) أيضاً : في لسان .

(٥) ابن رشد ، ص ١٩٠٨٠ ، حيدراباد ص ٦٠٧٧ .

المصـــادر

ابو ريدة ، مصطفى عبد الهادي : رسائل الكندي

اهلورت (Ahlwardt, W.) Verzeichniss Der Arabischen Handschriften: Der Konglichen Bibliothek Zu Berlin. vierter Band VII und VIII Buch, Berlin, 1892.

الأهواني ، أحمد محمود : تلخيص كتاب النفس لأبي الوليد ابن رشد ، وأربع رسائل ، ١٩٥٠ :

(١) رسالة الاتصال لابن الصائغ ، (٢) كتاب النفس لاسحق بن حنين

(٣) رسالة الاتصال لابن رشد ، (٤) رسالة العقل ليعقوب الكندي

الأندلس ، Granad · Madrid : انظر « أسين بلاسيوز »

ارسطاطاليس : ترجمة كتبه بالانكليزية ، نشر و ، د ، راس (W. D. Ross)

رسالة ارسطاطاليس في النفس : نشر الدكتور صغير حسن المعصومي ، في مجوعة ارمغان علمى ، لاهور

رسالة درنفس منسوب بارسطاطاليس : مخطوطة بودليانا ، رقم Ousl. 92

آسين بلاسيوز (1) Tratado de Avempace Sobre la: (M. Asin Palacios) union del intelecto con el hombre. Al Andalus vol. 7. 1942, 1 — 47.

رسالة اتصال العقل بالانسان لابن باجه .

(2) La « Carla de Adios » de Avempace, Al Andalus, vol. 8. 1943, 1 — 87.

رسالة الوداع لابن باجه .

كتاب النبات ، الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠

(3) Al-Andalus, vol. 5. 1940, 266 — 278

تدبير المتوحد لابن باجه ،

كتاب الحدائق لابن سيد البطليوسي الأندلسي ،

Al-Andalus, vol. 5. 1940, 63 — 98

انسائيكلوبيديا اف اسلام (دائرة المعارف الاسلامية) :

: The Encyclopaedia of Islam,
ed. Houtsma, Arnold et others Leyden, 1913, 4
voll. q Suppl.

ابن باجه : مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 206 ، وانظر « آسين بلاسيوز »

ابن خلدون : التاريخ ، ج ١ بولاق .

ابن خلكان : وفيات الأعيان .

ابن النديم : كتاب الفهرست ، نشر فلوجل (Flügel) ، ليبسك ، ١٨٧١ م .

ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، نشر ج. ليبرت (J. Lippert) ، ليبسك ، ١٩٠٣ م .

ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، نشر الأهواني .

رسائل ابن رشد ، حيدراباد ، ١٩٤٦ م .

تفسير ما بعد الطبيعة ، نشر بوئيج (Bouyges) ، ٣ أجزاء .

كتاب الكليـــات ،

Artes Graficas Bosca, Larache, Marruecos, 1939

ابن السيد البطليوسي : كتاب الحدائق ، انظر « آسين بلاسيوز »

ابن سينا : كتاب الشفاء ، مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 125 .

تعليقات كتاب النفس ، نشر عبد الرحمن بدوي ، ارسطو عند العرب .

ابن طفيل : حيّ ابن يقظان ، نشر جوتيه (Gauthier) .

ترجمه بالانكليزية من قلم سائمن اوكلى (Simon Ockley) ،

نشر Edward A. Van Dyck ، قاهرة ، ١٩٠٥ م .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اوكلي (Ockley) : Philosophus Autodidactus أو حي بن يقظان ، انظر « ابن طفيل » .

بدوي ، عبد الرحمن : ارسطو عند العرب .

برجستراسر (Bergstrasser) : Geleni in Hippocratis De Septimanis

بوئيج (Bouyges) : انظر « ابن رشد » و « الفارابي » .

براكلمن (Bockelmann, C.) . (جزءان) Geschichte der Arabischen Literatur

Supplementland (ثلثة أجزاء)

بوكك (Pocock, E.) : Philosophus Antodidactus, Elenchos Scriptorum

جالينوس (Galen) : انظر « برجستراسر » و « كراوس - والسر »

جوتيه (Gauthier, L.) : Roman philosophique d'Ibn Tufayl. taxt et traduction, Beyrouth, 1936.

جواشون (Goichon, A. M.) : Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sina, Paris, 1938.

Vocabulaires compares d'Aristote et d'Ibn Sina.

Supplement au Lexique de la langue philosophique.

جوت (Gowett, B.) : محاورات أفلاطون ، خمسة أجزاء

Dialogues of Plato, English, 5 vols.

ج ر ا س (J R A S) : Gournal of the Royal Asiatic Society, London

ديتريصي (Dieterici, F.) : Al-Farabi's philosophiche Abhandlungen, Leiden 1890.

دنلوب (Dunlops, D. M.) : تدبير المتوحد لابن باجه : GRAS, 1945, 61—81

راس (Ross W.) : انظر « ارسطاطاليس » .

رائيت (Wright) : Arabic Grammar (Engl.) 2 vols

زيلر (Zeller, E.) : Aristotle and Early Peripaletics Englishs by Contelloc and Muirhead, 2 vols.

سارطن (Sarton, G.) : Introduction to the History of Science, 2 vols in 3 parts, Baltimore, 1927 — 31.
سبرينگر (Sprenger) انظر « علي التهانوي » .
علي التهانوي : كشّاف اصطلاحات الفنون ، نشر سبرينگر ، كلكتة .
فضل الرحمن : Avicenna's Psychology ، اكسفورد .
فضل امام خيرآبادي : الهدية السعيدية ، الهند .
الفارابي، ابونصر محمد بن طرخان: فصول المدني، مخطوطة بودليانا، رقم Hunt 307.
فصوص الحكم ، نشر ديتريصي .
احصاء العلوم ، ميدرد ، ١٩٣٢ م .
مسائل متفرقة ، حيدرآباد .
المدينة الفاضلة ، نشر ديتريصي .
السياسة المدنية ، حيدرآباد .
فلوجل (Flügel, G.) : انظر « ابن النديم » .
الكندي : انظر « ابوريده » .
كراوس (Kraus — Walzer) : Galenic Compendium Tinaci Platonis
London, 1951.
لين (Lane, E) : Arabic - English Lexicon
مكّنّا (Makkenna) : ترجمة نواميس . Plotinus, Enneads, 4 vols.
المقري ، أحمد : نفح الطيب ، أربعة أجزاء .
مولر (Muller, A) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، كونكسبرك وقاهرة .
والسر (Walzer) : انظر « كراوس » .

محمد صغير حسن المعصومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البنّيس

وألفاظ أخرى

في سنة ١٩٢٢ نشرت كتاب المنتخب من شعر ابن زاكور ، وهو منتخب عملته من ديوان هذا الشاعر الرقيق المسمى بالروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض والذي لا يزال مخطوطاً . وقد قدّمت له بمقدمة عرفت فيها بابن زاكور وأدبه ، وبينت لماذا عملت هذا المنتخب من شعره ولم أنشر ديوانه كله . كما بينت طريقته في الاختيار والترتيب ، وعنونت القصائد وضبطت الأشعار كلها بالشكل وفسرت الألفاظ الغريبة التي توقفت فيها أو قدّرت أن القارئ قد يتوقف فيها وعملت له فهرساً على المواضيع وآخر على الحروف . وذلك غاية ما أمكنني عمله اذ ذاك في خدمة هذا الشاعر وتقديمه للناشئة المغربية والأدباء على العموم في بلادنا العربية .

واعترافاً بالحق أقول انني لما مررت بقول الشاعر في أحد موشحاته :

بنت كرم حببت كرمتها	لأبي بالقبس
وسقاها فبدت نضرتهـا	ارسطاطاليس
خلتها لما غشت سورتها	في حشا (البنيس)
زجل الرهبان يوم المهرجان	في حمى عبدون
أو فؤادي اذا علاه الخفقان	فهو كالمجنون

وقفت طويلاً عند هذا البنيس اذ لم أعرف مدلوله ، وراجعت ما بيدي من كتب اللغة فلم أجد له ذكراً ، بل راجعت كتباً أخرى حسبتها مظنة لذكره

كحلبة الكميت وخاصة هذا الباب الذي عقده النواجي لوصف ما يشتمل عليه مجلس الأنس من أواني الشراب وكاسات وطاسات وبواطي وظروف وراووق وقناني وأباريق وغير ذلك ، كما استعرضت باب الخمريات في ديوان أبي نواس ، ومجموع الأغاني والألحان الذي يجمع الأشعار المستعملة في نوبات الموسيقى الأندلسية أي أدوارها الأربعة عشر ، نشر ادمون يانيل وهو يشتمل على قصائد وموشحات ومقطوعات غنائية كثيرة ، فلم أعثر في كل ذلك على لفظة البنيس المطلوبة مع العلم بأن ابن زاكور انما يحذو حذو شعراء الأندلس والوشاحين منهم بالخصوص في موشحه هذا وغيره .

وكان هذا البحث ارضاء لحب الاطلاع فقط وإلا فان معاني الشعر لم تكن خافية . وقد تركت اللفظة على ما هي عليه ونسيت البحث عنها فيما بعد . ثم وقفت في دفة بعض المخطوطات على ما يلي :

« من رحلة ابن رُشَيْد » : أنشدني ابن حيان ، أنشدني أبو عبد الله بن حنيني ، أنشدني أبو الحجاج يوسف بن حكم لنفسه ، وقد رغبت منه في شيء من المداد :

جاءتك تشكو بالظما ، إذ لم تجد ريا ، وقد سقيتها تدريجا
وسألت (بنيس المداد) فقال لي من أين لي أن أملأ الصهريجا
ورأيت أن الود ليس بخالص إن كان ما أنقى به ممزوجا »

وأظن أن اسم ابن حبان هنا محرف عن أبي حيان ، وهو النحوي الأندلسي المشهور ، لقيه ابن رُشَيْد صاحب الرحلة المنقول منها هذا الإنشاد في ثغر الاسكندرية عند إيابه . وقد رجعت الى مخطوطة الاسكوريال الوحيدة من هذه الرحلة لتحقق من هذه الأبيات فلم أجدها فيما أنْشَدَهُ أبو حيان ابنَ رُشَيْد من شعره أو شعر غيره في الجزء الخامس منها ، ولا في غيره من الأجزاء الخمسة الموجودة في مكتبة الاسكوريال ، فلعلها كانت في الجزء المفقود من هذه الرحلة .

والمقصود من هذا كله أن لفظة البنيس وردت في هذه الأبيات مضافة الى المداد ، فتفيد أنها وعاء يستعمل للخمر وغيرها .

وفيما كنت أتذاكر قبل بضع سنوات مع الصديق المرحوم قاضي طنجة سابقاً السيد محمد بن رحمون ، أنشدني عفواً هذا البيت للشيخ المشرفي :

وما البنيس إلا إناء خمر . وبالتحقيق قد وجب انكساره

فتلقفت منه هذا البيت بلهفة ، إذ حدد فيه معنى البنيس وشرحه شرحاً لغوياً معجمياً كما لو كان يعرف ما في نفسي من أمر هذه اللفظة فشفى غلتي وأزال حيرتي . على أن البيت لم يقصد لشرح المعنى اللغوي لكلمة البنيس وانما هو هجاء لشخص من أولاد بنيس ، وهم أسرة مغربية معروفة اشتهرت بهذا الاسم وأصلها من مدينة فاس . فاغتنم قائله هذا الاشتراك اللفظي بين اسمه وبين البنيس بمعنى إناء الخمر فورّى به وحكم حكماً شرعياً بوجوب كسره فبلغ قصده من الهجاء وأفادنا رحمه الله [1] هذه الفائدة الجلّى .

وفي هذه الأيام بينما كنت أطالع كتاب المدارك للقاضي عياض ، نسخة خطية خاصة ، إذ وقفت في ترجمة القاضي أحمد بن بَقي بن مخلد على هذه الحكاية :

«وذكر أنه كان في مجلس نظره ، وقد غص بالفقهاء والعدول والخصم ، حتى دخل عليه المعتوه المعروف بابن شمس الضحى ، وكان من ذوي البيوتات والثروة . فقال يا قاضي المسلمين أريد أن تأمر وكيل فلان [2] يزرع لي بقريتي

---

(١) الشيخ محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي صاحب البيت المذكور من علماء المغرب في الثلث الأول من هذا القرن ، اشتهر بكتابه الدر المكنون في ترجمة الشيخ محمد كنون وهو مطبوع على الحجر بفاس وبكتابه اظهار العقوق في منع التوسل بالنبي والولي الصدوق ، طبع بمصر . وكان يتعاطى الأدب وولي القضاء بفاس الجديدة مدة .

(٢) كذا بالأصل ولعلها وكيلي فلاناً .

(بنانيس) فنبت لي خوابي فأحصل على رجبي . فما بقي أحد في المجلس إلا ضحك سوى القاضي ، فانه وجم واستعبر وقال : يا بني : لقد ظلمك من ألقى هذا على أسماعك . ثم قال لأهل مجلسه : وا أسفا على سخريتكم وضحككم منه . انا لله وانا اليه راجعون على قلة التحصيل وعزوب العقول . فان البكاء على هذا أولى وأليق ، فما بيننا وبين زوال العافية إلا الذهول عن شكرها . اللهم اسدل علينا سترها[1] واحفظ عقولنا لمعرفتك ، وارزقنا ذرية طيبة صالحة زكية نقر أعيننا بها . فاستحيى من حضر .

فاستفدت منها زيادة على مغزاها الخلقي الذي أشار له القاضي ابن مخلد ولأجله أورد الحكاية ، أن البنيس اناء من فخار ولذلك جعله المعتوه صاحب الحكاية بزرة تخابية . والخابية من الفخار معروفة ، كما استفدت أنهم كانوا يجمعونه على بنانيس ولم يبق حينئذ حول هذه اللفظة أدنى شيء من الإبهام . فهي تطلق على إناء صغير يصنع من الفخار كالجرة والحب والخابية ، ويغلب استعماله للخمر وان كان قد يستعمل لغيرها من المائعات كالمداد على ما رأيت . وكانت هذه اللفظة من الدارج على ألسنة أهل الأندلس ولا نعرف ما إذا كان أصلها اسبانيا ، على أننا بحثنا عنها فيما عندنا من المعاجم الاسبانية فلم نجدها . أما في المغرب فلم تجر الا على ألسنة أهل الأدب مما يدل على اقتباسها من الأشعار الأندلسية .

وبخلاف البنيس ، لفظ الشرجب وجمعه شراجب ، وقد يقولون شرجم بالميم كما يقولون في رجب رجم ، وهي لغة ، فهذا اللفظ مما يجري على الألسنة هنا في المغرب كثيراً كما كان جاريا على ألسنة أهل الأندلس وربما ورد في أشعارهم . وهو يعني ما يسمى الآن في هندسة المباني بالنافذة Le guichet, La fenêtre وفي نظري هو أدل منها على المعنى المراد فان النافذة أعمّ من الشرجب والطاقة

(١) لعل الصواب سترك .

والكوة وحتى الباب وغيرها مما يقع منه النفوذ ، ولولا أن الاستعمال خصصها حديثاً بما ذكر لما فهم المراد منها . وذكري للطاقة هنا إنما هو باعتبار الاستعمال المغربي لها في معنى النافذة ، وربما كان استعمالاً أندلسياً أيضاً وهم يجمعونها على طيقان وطاقات . ومعلوم أن مدلول الطاق وجمعه الطيقان في اللغة : هو ما عُقِد من الأبنية باباً أو نافذة أو غيرهما فلعلهم بعد ما استعملوه في النافذة خصوه بها ثم أنثوه بالتاء وان اشتبه بالطاقة بمعنى القُدْرة لكن السياق يُعيّنه . ومع هذا يبقى لفظ الشرجب متمكناً في معناه الذي يدل على الإنافة والسعة ويستصحب أيضاً الدلالة على فخامة البناء وأناقته ، ولا كذلك دلالة الطاقة في العرف المغربي فأحرى الكوة ..

وجاء في نفح الطيب تعريف للشرجب يكتنفه بعض الإبهام فربما ظهر غير منسجم مع ما ذكرنا من أن معناه هو النافذة . وذلك في الجزء الثاني في ترجمة أبي جعفر بن سعيد ، أثناء حكاية وقعت له مع بعض المُجّان وهو في نزهة بنهر اشبيلية .. ونص المقصود منها : «ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية افتتن بواديها ، واعتكف على الخلاعة فيها ، مصعداً ومنحدراً بين بساتينه ومنازهه . فمر ليلة بطريانة ، فمال نحو منزه فيه طرّب سمعه فاستوقفه هنالك . وهو في الزورق متكئ ، وأصحابه وأصحاب أبيه مظهرون انحطاطهم عنه في المرتبة . فأخرج رأسَه أحدُ الأنذال المعتادين بالنادر من (شرجب) والشرجب هو الدرابزين من خشب فيه طاقات .. وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والأبنية الحسنة ... الخ» فتفسيره للشرجب بالدرابزين غير متوافق مع المعنى الذي ذكرناه له ، ولكن ببعض الايضاح يتطابق التفسير والمعنى المذكور ولا يبقى بينهما خلاف .

فابن سعيد الذي كان في نزهة على متن الوادي الكبير وبشاطئه الذي يلي حَيّي طريانة خاصة ، لما سمع الطرب توقف تحت المنزه الذي كان يوجد فيه

المطربون ، « والمنزه في المتعارف مكان مرتفع كالعِلِّيَّة يُشرف على البحر أو على الخلاء ونحوهما من المناظر الطبيعية الجميلة » فأخرج أحد الأنذال رأسه من شرجب في المنزه وجعل يتعاطى مع ابن سعيد فحش القول كما يفيده آخر الحكاية ، فالمهم أنه أطل عليه من شرجب بل أخرج رأسه منه ولا يكون ذلك إلا من نافذة .. ولما كانت هذه النافذة ذات شباك يتمنع معه بروز الرأس حينما يطل الإنسان منه ، وقال ان فيه طاقات ، والطاقة هنا بالمعنى المستعمل عند المغاربة على حسب ما أشرنا اليه آنفاً أي النافذة . فيخرج من ذلك أن الشرجب نافذة ورُكّب عليها شباك قد يكون بحيث يصح اخراج الرأس منه والنظر الى الخارج بالأحرى . ففي عبارة النفح اقتصار ، وهو الحذف من غير دليل أو اختصار وهو الحذف مع الدليل للعلم من السياق .

والواقع اننا كذلك نستعمل لفظ الشرجب في النافذة ذات الشباك ، ويكون من حديد كما يكون من خشب . ولكن ذلك ليس بلازم إذ قد يكون الشرجب خالياً من الشباك بل هو الأكثر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن لطيف الأدب الوارد في الشباك قول عبد المومن بن علي أول خليفة للموحدين وكان هو ووزيره أبو جعفر بن عطية مارين ببعض طرق مراكش فأطلت عليهما جارية بديعة الجمال من شباك فقال : قدّت فؤادي[1] من الشباك إذنظرت

فأجاز وزيره أبوجعفر : حوراء ترنو الى العشاق بالمقل

ثم قال عبد المومن : كأنما لحظها في قلب عاشقها

وأجاز أبو جعفر : سيف المؤيد عبد المومن بن علي

ومما ورد في الشرجب من جميل الشعر قول المعتمد بن عباد ، يخاطب الوزير ابن عمار :

(١) كذا ، ولعل (قلبي) بدل فؤادي ليستقيم الوزن . (لجنة المجلة)

ألا حيّ أوطاني بشِلبَ، أبابكر وسلهنّ هل عهد الوصال كما أدري
وسلم على (قصر الشراجيب) من فتىً له أبداً شوقٌ إلى ذلك القصر

قال الفتح في القلائد عقب هذين البيتين: «وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والاشراق، مباهٍ لزوراء العراق ركضت فيه جياد باحاته، وأومضت بروق أمانيه في ساحاته، وجرى الدهر مطيعاً بين بكوره وروحاته، أيام لم تُحَلّ عنه تمائمه، ولا خلت من أزاهر الشباب كمائمه الخ».

ولفظ آخر هو الزّلّيج بكسر اللام مع تشديدها ويعني الفسيفساء والقاشاني، هذين اللفظين اللذين يستعملان في الشرق العربي ولا نعرفها في المغرب. والأول ليس بعربي والثاني لعله منسوب الى قاشان لصنعه فيها. أما لفظنا فله أصل في المادة اللغوية (زلج) ولعله أخذ منها. وفي القاموس: «والزُّلُجُ بضمتين الصخور الملس» والمهم ان هذه الصنعة الدقيقة قديمة في المغرب والاندلس، ولا تزال حية ونشيطة فيه، ولا اسم لها عندنا الا الزليج. ويقال لصاحبها الزلايجي وجمعه الزلايجية، ويستعمل منها فعل زَلّج الرباعي المضعف وتصاريفه، فهل آن الأوان لتأخذ هذه الكلمة طريقها الى المعجم العربي وتحل فيه محل الفسيفساء والقاشاني[1] أو تقوم الى جانبها على الأقل اسماً لهذا النوع المغربي الممتاز من مدلول تينك الكلمتين ؟..

ومما ورد فيه كلمة الزليج نثراً هذه الفقرة من وصف الافراني لقصر (البديع) الذي بناه المنصور الذهبي في مدينة مراكش بين سنتي ٩٩٦ هـ — ١٠٠٢، وذلك في كتابه نزهة الحادي، ص ٩٤ طبع فاس ونصها: «وفيه من الرخام المجزّع والمرمر الأبيض المفضّض والأسود، وكل رخامة طلي رأسها بالذهب

(١) الفسيفساء غير القاشاني، وكلمة زليج تنطبق على القاشاني المشرقي وحده وهي خليقة بدخول معاجمنا العربية. (لجنة المجلة)

القائب ، وموّه بالنضار الصافي ، وفرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافي البشرة ، وجعل في أضعاف ذلك (الزليج) المتنوع التلوين حتى كأنه نمائل الزهر ، أو برد موشى من عمل صنعاء أو تستر » ، وفقرة أخرى من نفس الصفحة في وصف الكتابة والنقوش التي كانت على جدران القصر وستوره وهي هذه : « وفيه من الأشعار المرقومة في الأستار والأبيات المنقوشة في الخشب (والزليج) والجبس ما يسر الناظر ويروق المتأمل ويبهر العقول » ونقل الناصري في الاستقصاء نفس العبارات وأصلها للكاتب الفشتالي في تاريخه : مناهل الصفا .

أما في الشعر فقد جاء لفظ الزليج في عدة قصائد وأبيات ، ونختار منها المقطعة الآتية للأديب ادريس بن علي السناني التي قالها في وصف روض لأحد الأكابر بفاس وهي تنشر لأول مرة :

روضٌ يروق الناظرين بهيجُ صنوان فيه الزهر والزّليجُ
فكلاهما في بهجة وتنوعٍ يُحيي النفوس بحسنه ويَهيج
إن جئته تبغي انتشاق أريجه وافاك دون الباب منه أريجُ
قد عربدت أشجاره بمدامة شبه اللجين يُديرها الصهريجُ
والطير تشدو في الغصون بنغمة في شدوها التفريح والتفريجُ
نلنا به عند الصباح مسرةً والغصن غصن والخليج خليجُ
أبقاه ربي زاهراً في نضرة ما يمم الحرم الشريف حجيج

ونسجل هنا ورود كلمة (الصهريج) في هذه القطعة والأبيات الثلاثة السابقة التي ورد فيها ذكر البنيس ، ملاحظين كثرة استعمالها في المغرب ودورانها على ألسنة العموم وتسمية أحواض مائية شهيرة بها كصهريج المنارة بمراكش الذي بناه عبد المومن الموحدي وكان يمرن فيه الجنود على العوم والتجديف ، وكمدرسة الصهريج بفاس وغيرهما ، في حين اننا قلما نعثر على استعمالها في الآثار الأدبية الشرقية ، وفي الكتابات الوصفية التي يحررها أدباء الشرق ماعدا أثر واحد

هو كتاب صهاريج اللؤلؤ للسيد توفيق البكري فهو الوحيد الذي استعمل هذه الكلمة من الكتاب الشرقيين فيما علمنا .

وما دمت قد ذكرت هذين اللفظين أو المصطلحين المستعملين في البناء وما اليه وهما الشرجب والزليج فيحلو لي أن أشير هنا الى اني قرأت في كتاب المؤتمر الأول لمجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق سنة ١٩٥٦ نشر الإدارة الثقافية التابعة لجامعة العربية بحثاً قيماً للدكتور مصطفى جواد في وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها ، ومما جاء فيه عند الكلام على مصطلحات البناء نقله عن أساس البلاغة كلمة الحضرة لمصطلح المسمى بالفرنسية matériaux أي مواد البناء من آجر وجير وغيرهما ملاحظاً أن المجامع العربية لم تضع له مقابلاً ، ونقله لمصطلح المذكور عن الزمخشري في محله ، وانما أريد أن أقول اننا هنا في المغرب نستعمل في هذا المعنى كلمة الأنقاض فتأتي في ألفاظ المُوثّقين وحسابات المُقاولين وهي كلمة لا غبار عليها لأنها تسمية للشيء بما يؤول اليه على طريقة المجاز المرسل [1] كقوله تعالى «اني أراني أعصر خمراً» في تسمية العصير .

وفي هذا البحث العظيم الفائدة استشهد صاحبه الدكتور جواد على استعمال استلم بمعنى تسلم بنص لابن بدرون في شرحه لقصيدة ابن عبدون الشهيرة قائلاً : «فهو مستعمل عند أدباء الأندلس منذ المائة السادسة من الهجرة في أقل اعتبار» وأضيف الى هذا الشاهد شاهداً آخر يدل على أن أدباء المشرق قد عرفوا هذا المعنى لفعل استلم واستعملوه في تاريخ قريب لتاريخ ابن بدرون وهو قول البوصيري في قصيدته المعروفة بالبُرْدة :

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به ... الا ونلت جواراً منه لم يُضَمِ
ولا التمستُ غنى الدارين من يده ... الا (استلمتُ) الندى من خير (مُستَلم)

(١) المسمى بمجاز الأول .

كذلك في الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من مجلتنا هذه قرأت للدكتور حسني سبح في مقاله المعنون بنظرة في معجم المصطلحات الطبية ما علّق به على كلمة سُلابة التي وضعها المعجم المذكور لكلمة Abats الافرنجية وفسرها بِغُفاشة الأحشاء، واني بعد اعلان إعجابي بتحقيق الدكتور سبح وتدقيقه في مطابقة الألفاظ لمعانيها المرادة، أذكر أن هذا المصطلح يستعمل له في المغرب لفظ السقط ويقال لبائعه السقاط ولمكان بيعه السقاطين، وأظن أنهم في الأندلس كانوا يستعملونه أيضاً لهذا المعنى. وكل من زار غرناطة فلا بد انه مر على المكان المعروف بالسقاطين الى يومنا هذا وهو مكان ضيق يشتمل على دكاكين صغيرة متقابلة مما يكون عليه وضع دكاكين الجزارة، وان كان في الوقت الراهن يباع فيه بضائع تجارية متنوعة. وكلمة (سقط) في اللغة تطلق على الولد لغير تمام كما أنها بالفتح تطلق على رديء المتاع وكلا الدلالتين قريب مما نطلقها عليه من حشا الحيوان المأكول (الذي يشمل الكوارع والكبد والطحال والدماغ والقلب والرئة فضلاً عن الكرش والمصارين خلا الاهاب. والواقع أن نطق الكلمة عند العموم يختلف باختلاف الجهات، ففي فاس مثلاً يقولون السقط بسكون القاف، وفي طنجة يقولون السقط بفتحها مع تسكين السين في النطقين معاً على عادة العامة في الابتداء بالساكن خلافاً للقاعدة العربية. ومهما يكن الأمر فان الاستعمال القائم للكلمة لا يقع على رديء المتاع بل على حشا الحيوان، فهل يصح لي أن أقترح الكلمة للمصطلح المذكور لا سيما والدكتور سبح ترك المكان فارغاً فلم يأت بمقترح جديد بعد نقد مصطلح المعجم؟

عبد الله كنون

التعريف والنقد

محاضرات عن القومية العربية

(تاريخها وقوامها ومراميها)

ألقاها الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي على طلاب معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة سنة ١٩٥٨ / ١٩٥٩ وهي تقع في ٣٦٤ ص من القطع الوسط

ألقى رئيس مجمعنا الأمير مصطفى الشهابي سلسلة من المحاضرات على طلاب معهد الدراسات العربية العالية ضمنها آراءه «في كنه عقيدتنا القومية، وتاريخها الحديث، والعوامل المكونة لها، والأهداف التي ترمي اليها، والفلسفة المثالية التي تحدد أغراضها، وعلاقتها بالقوميات السائرة وبالبشرية جميعاً» [1]. فجاءت محاضراته هذه متممة لما كتبه الأساتذة ساطع الحصري وعزة دروزة وأمين سعيد، وعلال الفاسي وغيرهم عن نشوء الفكرة القومية، والحركة العربية الحديثة، والثورة العربية الكبرى والحركات الاستقلالية العربية.

وأحسن ما تتميز به هذه المحاضرات دقة البحث الموضوعي، ورصانة الأسلوب العلمي وجمال التعبير الأدبي ونظم عناصر الموضوع في سلك واحد يجمع بين التحقيق التاريخي والتعليل الفلسفي.

أما دقة البحث الموضوعي فتظهر في كلام المؤلف على الحركات القومية السرية والعلنية، وفي حديثه عن العرب والعروبة في القديم والحديث، وفي وصفه ليقظة

---

(١) من مقدمة الكتاب.

الأقطار العربية ونضالها في سبيل التحرر ، وفي كلامه على أثر اللغة والدين والاقتصاد والتربية والثقافة وغيرها في نشوء القومية العربية الحديثة وفي كشفه النقاب عن المراحل التي اجتزناها في الماضي والاتجاهات التي تتوزعنا في الحاضر .

وأما رصانة الأسلوب العلمي فتظهر في وصف المؤلف حوادث زمانه وصفاً موضوعياً دقيقاً ووقوفه منها موقف العالم المدقق الذي ينظر الى الأشياء نظرة خالية من الهوى ، لا بل نظرة علمية تكشف عن كنه الأمور ومراميها القريبة والبعيدة .

وأما جمال التعبير الأدبي فيظهر في الأسلوب السهل الممتنع الذي اختاره المؤلف للإفصاح عن رأيه فلا يوقع ألفاظه إلا في مواقع الحقيقة ولا يحكك إلا بكلام مرسل سمح يستهوي عقلك ويأخذ بمجامع قلبك لارتباطه بقوة المنطق ولتأديته المعنى الجميل في القالب الجميل .

لقد أتيح للمؤلف أن يرى بنفسه كثيراً من الحوادث وأن يتصل بحكم عمله بكثير من رجال السياسة في سورية ومصر والعراق وغيرها ، وأن يبقى مع ذلك مستقلاً عن التيارات السريعة التي كانت تجرف المندفعين فيها وتحرمهم دقة الملاحظة وهدوء التفكير وتماسك العاطفة فهيأ له ذلك أسباب الاطلاع على خفايا الأمور والحكم عليها حكماً صادقاً ، فلم يفصل القول في ناحية واحدة بعينها كما فعل بعض الكتاب قبله بل اقتصر منها على القدر اللازم للغرض الذي يرمي اليه ، وهو ربط نتائج الأحداث بعضها ببعض لاستخراج المقومات الأساسية لعقيدتنا القومية .

وانه ليسرنا أن نلتقي وصديقنا الأمير الشهابي على صعيد واحد ، فنحن نرى معه أن للعقيدة القومية من حيث هي فكرة مثالية أساسين الأول هو

التصور والايمان بأن الشعوب العربية في جميع أقطارها أمة عربية واحدة وبأن أوطان تلك الشعوب أجزاء من وطن كبير واحد هو وطن الأمة العربية ، والثاني ارادة السعي لتحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لهذه الأمة .

وفي رأيه أن البواعث العملية لتحقيق هذه الفكرة المثالية تتلخص بالأمور التالية وهي :

(١) الاشتراك في اللغة العربية الفصحى .

(٢) الاشتراك في التاريخ .

(٣) الاشتراك في المصالح السياسية والاقتصادية في الحاضر والمستقبل .

فالقومية العربية لا تقوم في نظره على عامل العنصرية ولا على عامل الدين بل العربي من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً مهما يكن دينه ، ومهما تكن السلالة البشرية التي ينتمي اليها . والمؤلف يتكلم على الوسائل المؤدية الى تحقيق فكرة القومية كالاستقلال ومكافحة الاستعمار ، والوحدة العربية ، وإقامة الحكم على أساس ديمقراطي برلماني ، والاشتراكية التعاونية ، ورفع مستوى الشعب خلقياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ، واحترام القوميات التي تحترم القومية العربية ، ومشاركة العالم المتمدن في تقدم البشر روحياً وعقلياً ، وتجنب مصائب الحروب باتباع سياسة الحياد الايجابي والتعايش السلمي .

يتضح من ذلك كله أن الوسائل التي أشار اليها المؤلف هي الوسائل التي أخذت بها الجمهورية العربية المتحدة لتحقيق فكرة القومية فليس في استقصاء هذه الوسائل إذن شيء جديد ، ولكن الجديد الذي ضمه المؤلف الى استقصائه هو ربطه وسائل التحقيق بفكرة فلسفية عامة مبنية على دقة الملاحظة وصدق

المشاهدة وهو يلخص هذه الفكرة الفلسفية بقوله : ليست القومية العربية فلسفة قومية ضيقة ولا مذهباً اجتماعياً محدوداً قوامه الأثرة أو التعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بنّاءة تقدمية تدعو كل عربي الى محبة أمته العربية ووطنه العربي ، والى الاعتزاز بماضي هذه الأمة والى العمل التقدمي لحاضرها ومستقبلها كما تدعو الى محبة الإنسانية والى خير البشرية والى حق كل شعب في تقرير مصيره (راجع مقالنا عن الاتجاه القومي في التربية العربية في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٣٣ الجزء ٢ صفحة ٢٣٨) .

وخلاصة القول ان كتاب القومية العربية سفر جليل بعمق تحليله ودقة بحثه ورصانة أسلوبه وفائدته ووضوح أهدافه . أهداه المؤلف الى أخيه الأمير عارف الشهابي الذي وقف حياته القصيرة على نشر عقيدة القومية العربية وقضى شهيداً في سبيلها وعلّمه أن يحب العروبة وأن يبذل جهده في خدمتها .

وفي هذا الإهداء اعتراف كريم بفضل الشهداء النبلاء وتذكير بما بذلوه من جهد لبلوغ الأمة العربية حريتها واستقلالها ووحدتها .

جميل صليبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المبادئ الشرعية والقانونية

في الحجر والنفقات والمواريث والوصية ،

في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني

تأليف الدكتور المحامي : صبحي محمصاني

الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٩ م

كنا وصفنا هذا الكتاب الجامع لمبادئ الشرعية في طبعته الأولى في المجلد الثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي وقلنا هو مجموعة من المحاضرات التي أعدّها العلامة الدكتور المحمصاني سابقاً لطلاب السنتين الثالثة والرابعة من معهد الحقوق الفرنسي في بيروت والتي لا تزال تلقى على تلامذة السنة الرابعة من كلية الحقوق وفق منهاجها الجديد . وقد قسم مباحث هذا الكتاب إلى الأقسام الأربعة التي جعلها عنواناً له . وكل قسم منها قد اشتمل على عدة أبواب من فروع هذه الأقسام . (فمن الأول) الحجر والولاية ، والصغر والجنون إلى آخر الأبواب السبعة وأسباب أخرى للحجر . (والثاني) أحكام عامة ، ومنها شروط الوصية وآثارها . (والثالث) نفقة الزوجة والفروع والأصول وذوي الأرحام ، وقواعد عامة في النفقات (والقسم الرابع) يشتمل على ثمانية أبواب كموانع الإرث ، وأصحاب الفروض والعصبات والعَوْل والردّ ، وذوي الأرحام وأحكام عامة ومسائل متنوعة ، ووراء كل باب فصول وفروع منسقة ومستوفاة .

وهذه الطبعة الجديدة منقحة من كتاب المبادئ الشرعيـة ، وقد سميت (المبادئ الشرعية والقانونية) ، وتناول التنقيح بوجه خاص ـ كما قال الدكتور المؤلف ـ الامور الآتية :

(١) توضيح بعض المسائل التي أظهر الاختبار حاجتها للتفسير والشرح .

(٢) زيادة بعض المقارنات المستمدة من القوانين اللبنانية وبعض القوانين العربية الجديدة .

(٣) زيادة بعض الاجتهادات القضائية اللبنانية الجديدة لتسهيل فهم المبادئ النظرية على ضوء القضايا العملية .

(٤) ادخال بعض التعديلات على القانون اللبناني ، وبوجه خاص بحث قانون الإرث والوصية اللبناني لغير المحمديين الصادر عام ١٩٥٩ م .

قال : وعلى أساس هذه التغييرات الجذرية أبدل بعنوان الكتاب السابق عنوان جديد هو (المبادئ الشرعية والقانونية) للتنويه بالأحكام القانونية الجديدة ، التي صدرت في لبنان في المسائل التي عني بها هذا الكتاب .

وانك لتجد فيما تخطه يراعة الأستاذ المحمصاني ، ما امتاز به الفقه الإسلامي على الفقه الغربي من دقة التعبير ، وجمال التصوير ، وموافقة قواعده وشواهده لكل أمة ، على اختلاف الزمن وارتقاء الأمم ، وتنوع المطالب .

وكنا نرجو أن نرى المقدمة مبدوءة باسم الله تعالى كما هي عادة الكتاب الشرقيين ، وأن نرى التاريخ الهجري إلى جانب التاريخ الميلادي . أخذ الله بيد الدكتور وزاده إحساناً وتوفيقاً .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب الحوادث والبدع

تأليف أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي

المتوفى بمصر سنة ٥٢٠ — ٥٢٥ هـ

طبعة تونس سنة ١٩٥٩ م

كنا نجلس في حلقة محدث الشام الأستاذ الشيخ بدر الدين الحسني الشهير ، وكان مما نتلقاه عنه رواية ودراية منتخب كنز العمال من كتب الحديث الجامعة ، ولما بلغنا باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، سأله بعض الفضلاء : أوَ يقرآن للعمل بهما أم للتبرك قال أستاذنا : إذا قصدتم العمل بهما كنتم من المتصمين .

وكتاب الإمام الطرطوشي هذا يهدي إلى العمل ، ويبعد عن الحوادث والبدع ، وينهى عن كل ما تخترعه القلوب ، وما تنطق به الألسنة ، وما تفعله الجوارح ، مما يظنه بعضهم عبادات وقربات وطاعات ، والطاعة في الاتباع ، لا في الابتداع ، وقد أكمل الله لنا الدين ، وأتمّ علينا النعمة ، ورضي لنا الإسلام دينا .

وقد حققه الأستاذ الطالبي ، وأشار الى اختلاف نسخه بدقة وعناية وأنشأ عليه تعليقات مفيدة ، ووضع له في آخره فهارس عديدة ، وترجم لمن ورد ذكرهم في الكتاب ، فبلغ (٢٢٣) صفحة بالقطع المتوسط ، وطبع على أجود الورق ، فجزى المولى المؤلف والمحقق والناشرين أفضل الجزاء .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطب حمدي عُبيد

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
أنشأها واستمدها من الكتاب والسنة والمجتمع
ص ٣٠٩ طبع ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م

الأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف ، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر ، وهذا نعت النبي والمؤمنين ، قال تعالى في وصف النبي (ﷺ) : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرّم عليهم الخبائث » . وقال في وصف الأمة : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » هذا وإن بني العروبة والإسلام لا تتم مصلحتهم إلاّ بالاجتماع والتعاون والتناصر ، فالتعاون لجلب المصالح لهم ، والتناصر لدفع المضار عنهم ، وتكون الطاعة للآمر بتلك المقاصد ، والناهي عن تلك المفاسد ، « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » وفي هذه الخطب المفيدة للأستاذ حمدي عبيد العقائد والأوامر ، والزواجر الإلهية والنبوية ، كقواعد الإسلام الخمس ، وكالمحبة والصحبة والتوبة ، وشذرات من نفحات النبوة ، وكقول الحق والصدق ، وكالنهي عن الموبقات السبع ، وهي الشرك ، والسحر ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، ومال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، وكل ذلك بأدلة ثابتة من الكتاب والسنة ، وأعمال المجتمع ، وبأسلوب عصري واضح ، وهذا الديوان مشكول شكلاً تاماً ، ومن الخطبة السابعة التي حثّ فيها الأستاذ عبيد على تحصيل العلم النافع قوله :

« فمن العلوم النافعة التي تؤمّن لنا كلّ ما قدّمنا العلومُ الرياضيّة ، والتاريخية ، والأدبية والاجتماعية ، والجغرافية والاقتصادية ، والسياسية والحربية ، والأخلاقية والتربوية ، وسائر العلوم الكونية ، وكلُّها حثَّ على تحصيلها القرآن الكريم ، وأمر بها الرسول العظيم ، ﷺ » .

ثم إن من سهو القلم أو الطبع وضع فتحتين على الألف الساكنة في مثل (منبرًا ودفاعًا ومحمودًا) ، لأن التنوين عبارة عن تكرير الحركة في الحرف المتحرك ، والألف اللينة ساكنة ، والفتحة الثانية من حقها أن توضع فوق الراء والعين والدال من هذه الكلمات المفتوحة الآخر ، ويقاس عليها غيرها كما لا يخفى .

ولعله يشار في الطبعة الثانية إن شاء الله الى أرقام الآيات وسورها ليسهل الرجوع اليها ، وتعزى الأحاديث إلى مخرّجيها من أصحاب الكتب الستة وغيرهم ليكون القراء على بصيرة منها ومن شرحها .

هذا مثال من هذه الخطب النافعة الرافعة ، فجزى الله تعالى مؤلفها خير الجزاء .

محمد بهجة البيطار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حرب صليبية في أوروبا

تأليف دوايت ايزنهاور وترجمة ابراهيم عبود

السلسة الخامسة من عيون التاريخ العالمي التي تنشرها دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر . طبع بدمشق سنة ١٩٥٩ في مجلد واحد يشتمل على (٢٧٠) صفحة من قطع الوسط ، يتخللها بعض الصور

وهو ترجمة كتاب (Crusade in Europ) لداوي ايزنهاور القائد العام لجيوش الحلفاء في الجبهة الغربيه أثناء المرحلة الأخيرة من الحرب الكونية الثانية والرئيس الحالي للولايات المتحدة الاميركية . وقد دون المؤلف فيه مذكراته عن مراحل الغزوة التي قادها ضد جيوش المحور في افريقية الشمالية وايطالية وفرنسة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو سجل رائع لسير المعارك في هذه الميادين وللأحداث السياسية التي رافقتها . وكيف انتزع الظفر من جيوش المحور وأرغمها على الاستسلام من دون قيد أو شرط ، فبدد بانتصاراته أوهام الزاعمين بأن جيش المانية لا يقهر .

وكان المؤلف صريحاً في آرائه ، مهذباً بحق أعدائه ، ولم يكتم تخلف بلاده عسكرياً بالنسبة لاستعداد قوى المحور الهائلة . وانتقد بعنف اهمال القيادة الامركية وضعف جهازها الحربي ، وفشل دوائر استعلاماتها عن مجرى الأحداث في الدول الأوربية ، مما كلف الحكومة لتدارك ما فاتها جهداً جباراً ، وأعباء مالية ثقيلة حتى ضمنت لنفسها التفوق العسكري وحققت الظفر لها ولحلفائها .

ويجار الفكر بتعليل عنوان هذا الكتاب : (حرب صليبية في أوروبا) ومغزاه ، فلا تنعت الحروب بالصليبية إلا إذا وقعت بين المسيحية وغيرها من الملل ، كما هو شأن الجهاد عند المسلمين . فأين هي الصليبية في هذه الحرب ، والخصمان من دين واحد ؟ هل اعتبر المؤلف النازية الألمانية والفاشستية الإيطالية في عداد الملاحدة حتى يبرر قتالهم ؟ فإن صح هذا الزعم فكيف له أن يفسر تآخي مسيحية الحلفاء وشيوعية السوفيات الملحدة . قاتل الله السياسة وتلونها ، فإنها تدني البعيد ، وتقصي القريب وتجعل من الهدى ضلالاً ومن الباطل حقاً .

نشكر دار اليقظة على حسن انتقاء ما تنشره من عيون التاريخ العالمي ونتمنى لها المزيد من التوفيق ، ونخص الأستاذ المترجم بأطيب الثناء والتقدير لإصابته حسن الاداء ، ودقة التعبير ، وأمانة النقل .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي

عقد المجمع العلمي العربي جلسة في ١٥ تشرين الأول سنة ١٩٥٩ لانتخاب رئيس خلفاً للمرحوم الأستاذ الرئيس خليل مردم بك .

وحضر لهذه الجلسة أكثرية الأعضاء العاملين وجرى الانتخاب بطريقة الاقتراع السري ففاز الأمير مصطفى الشهابي بإجماع الأصوات وعلى هذا صدر القرار التالي .

قرار نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم (٤٠) سنة ١٩٥٩

بتعيين رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

نائب رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القرار رقم (١٩٥٧) لعام ١٩٥٩

وبناء على المرسوم التشريعي رقم (٩٠) تاريخ ١٩٤٧/٦/٣٠ المتضمن ملاك المجمع العلمي العربي ودار الكتب الظاهرية وتعديلاته .

وبناء على ضبط الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي في ١٩٥٩/١٠/١٥ التي جرى فيها انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي خلفاً للرئيس الراحل .

« يقــرر ما يلي »

١ ـ يعين الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي العربي العامل رئيساً للمجمع العلمي العربي لمدة أربع سنوات .

٢ ـ يتقاضى الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي من موازنة المجمع العلمي العربي الباب (١) البند (١) تعويضاً ثابتاً معادلاً لراتب موظفي الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة .

دمشق في ١٥ / ١٢ / ١٩٥٩

محمد عبد الحكيم علي عامر

نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

(ج.ع.م. الاقليم الشمالي)

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ « سليم البخاري
٣ « مسعود الكواكبي
٤ الاستاذ الياس قدسي
٥ « أنيس سلوم
٦ « جميل العظم
٧ « سليم عنحوري
٨ « عبد الله رعد
٩ « رشيد بقدونس
١٠ « اديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الاستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ « محمد البزم
١٦ « سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الأب جرجس شلحت
٢٠ « جرجس منش
٢١ الاستاذ قسطاكي الحمصي
٢٢ الشيخ كامل الغزي

(ج.ع.م. الاقليم الشمالي)

٢٣ الاستاذ ميخائيل الصقال
٢٤ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٥ « راغب الطباخ
٢٦ « عبد الحميد الجابري
٢٧ « عبد الحميد الكيالي
٢٨ « محمد زين العابدين
٢٩ الدكتور صالح قنباز
٣٠ الشيخ سليمان الأحمد
٣١ الاستاذ ادوار مرقص
٣٢ الشيخ سعيد العرفي
٣٣ البطريرك مار اغناطيوس افرام

(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)

٣٤ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٣٥ « رفيق العظم
٣٦ « احمد كمال
٣٧ « احمد تيمور
٣٨ « احمد زكي باشا
٣٩ الدكتور يعقوب صروف
٤٠ السيد محمد رشيد رضا
٤١ الاستاذ حافظ ابراهيم
٤٢ « احمد شوقي
٤٣ الشيخ احمد الاسكندري
٤٤ الاستاذ اسعد خليل داغر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

	(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)	
٤٥	الاستاذ داود بركات	
٤٦	الدكتور امين المعلوف	
٤٧	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	
٤٨	الشيخ عبد العزيز البشري	
٤٩	الدكتور احمد عيسى	
٥٠	الأمير عمر طوسون	
٥١	الشيخ مصطفى عبد الرازق	
٥٢	الاستاذ انطون الجميل	
٥٣	〃 خليل مطران	
٥٤	〃 ابراهيم عبد القادر المازني	
٥٥	〃 محمد لطفي جمعة	
٥٦	الدكتور احمد امين	
٥٧	الاستاذ عبد الحميد العبادي	
٥٨	الشيخ محمد الخضر حسين	
٥٩	الدكتور عبد الوهاب عزام	
٦٠	〃 منصور فهمي	
٦١	الاستاذ حسن بيهم	لبنان
٦٢	الأب لويس شيخو	〃
٦٣	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٦٤	الاستاذ جبر ضومط	〃
٦٥	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٦٦	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٦٧	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٦٨	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٦٩	الاستاذ بولس الخولي	لبنان
٧٠	〃 امين الريحاني	〃
٧١	الامير شكيب ارسلان	〃
٧٢	الشيخ ابراهيم المنذر	〃
٧٣	الاستاذ جرجي يني	〃
٧٤	الشيخ احمد رضا	〃
٧٥	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	〃
٧٦	〃 فيليب طرازي	〃
٧٧	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٧٨	الدكتور نقولا فياض	〃
٧٩	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين
٨٠	الاستاذ نخلة زريق	〃
٨١	الشيخ خليل الخالدي	〃
٨٢	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٨٣	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٨٤	〃 عادل زعيتر	〃
٨٥	〃 محمود شكري الالوسي	العراق
٨٦	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٨٧	〃 معروف الرصافي	〃
٨٨	〃 طه الراوي	〃
٨٩	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
٩٠	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٩١	الاستاذ محمد الحجوي	مراكش
٩٢	〃 زكي مغامز	تركية
٩٣	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

٩٤ الاستاذ عباس إقبال ايران
٩٥ الحكيم محمد أجمل خان الهند
٩٦ الاستاذ فران (جبرئيل) فرنسة
٩٧ 〃 هوار (كليمان) 〃
٩٨ 〃 بوفا (لوسيان) 〃
٩٩ 〃 ماثجو 〃
١٠٠ 〃 كي (ارتور) 〃
١٠١ 〃 باسه (رينه) 〃
١٠٢ 〃 ميشو بلّير 〃
١٠٣ 〃 مارسيه (وليم) 〃
١٠٤ 〃 دوسو (رينه) 〃
١٠٥ 〃 مرجليوث (د٠س٠) بريطانية
١٠٦ 〃 بفن 〃
١٠٧ 〃 براون (ادوارد) 〃
١٠٨ 〃 كرينكو (فريتز) 〃
١٠٩ 〃 هومل المانية
١١٠ 〃 ساخاو (ادوارد) 〃
١١١ 〃 هوروفيتز (يوسف) 〃
١١٢ 〃 هارتمان (مارتين) 〃
١١٣ 〃 ميتفوخ (اوجين) 〃
١١٤ 〃 بروكلن (كارل) 〃

١١٥ الأستاذ غولدصيهر (اغناطيوس) المجر
١١٦ » ماكدونالد (د.ب.) الولايات المتحدة
١١٧ 〃 هرزفلد (ارنست) 〃
١١٨ 〃 سارطون (جورج) 〃
١١٩ 〃 كراتشكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي
١٢٠ 〃 برتلز (ايفيكين) 〃
١٢١ 〃 آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية
١٢٢ 〃 لوبس (دافيد) البرتغال
١٢٣ 〃 جويدي (اغنازيو) ايطالية
١٢٤ 〃 نالينو (كارلو) 〃
١٢٥ 〃 غريفني (اوجينيو) 〃
١٢٦ 〃 مونته (ادوارد) سويسرة
١٢٧ 〃 هس (ج٠ ج٠) 〃
١٢٨ 〃 كوفالسكي (ت٠) بولونية
١٢٩ 〃 موزل (الوا) تشكوسلوفاكية
١٣٠ 〃 هورغرنيه (سنوك) هولاندة
١٣١ 〃 اراندوك (ك٠) 〃
١٣٢ 〃 هوتسما (م٠ ت٠) 〃
١٣٣ 〃 بوهل (ف٠م٠ب٠) الدانيمارك
١٣٤ 〃 استروب (ج٠) 〃
١٣٥ 〃 سترستين (ك٠ف٠) السويد
١٣٦ 〃 سعيد ابوجمرة البرازيل

« مي »

زرتها في دارها يوم الجمعة في ١٩ آذار سنة ١٩٢٦ قبيل سفري من القاهرة بساعتين ، وكان معي حسين بك الحسيني ، ضغطت على زر الجرس ففتح نافذة من الباب خادم بربري فسألته عن الآنسة فقال هنا فدفعت اليه بطاقتي فذهب بها اليها وما هي إلا كا ولا حتى عاد مسرعاً وذهب بنا إلى البهو ، واتفق أن كان فوق رأسي بجدار البهو اطار به صورة الآنسة مي تعمدت بها أن تمثل الحداثة الساذجة بنظراتها الرتاعة وإرسال يديها الى خلف كأنها تريد أن تعتمد على شيء ووقفتها المشوشة التي يلتبس على الناظر أمرها : أكانت تريد جلوساً من وقوف أم نهوضاً من جلوس ؟ وهكذا فان الآنسة تحاول أن تصور نفسها حدثة مراهقة بل طفلة غريرة في مقالاتها وخطبها وكتبها وحديثها ، ولكن بمرض التواضع ونكران الذات فيتم لها ما تبتغيه كل امرأة ، ولكن بلباقة وكياسة .

بعد بضع دقائق من دخولنا إلى البهو ولجت علينا أم الآنسة مي وسلمت علينا مصالحة فذكرت لها اسمي واسم صاحبي ، وشرعنا نتحدث بالأحاديث المعتادة كحالة الجو وجمال البلد ، وما أذكر المناسبة التي جعلتها تنوه بكثرة من يرتاد البهو الذي نحن فيه من علية القوم واستطردت الى ذكر ابنتها الآنسة مي وكثرة شغلها في الإنشاء والخطب فكنت أخنق برأسي وأقول لها : نعم صحيح .

سألتني عن بلدي ، فقلت دمشق قالت وأنا أصلي من حوران وزوجي من لبنان فقلت ما شاء الله ! قالت لكن زوجي موعوك ملازم فراشه قلت خير إن شاء الله ولا بأس عليه .

ولم يطل بنا الحديث حتى حانت مني التفاتة فرأيت الآنسة ميّا تحبو بخطى خرساء ، وقد بلغت نصف البهو فنهضت على قدمي فوقفت مكانها ولوت جيدها بِنة وعقدت كفيها وقالت والبشر يأتلق على أسرتها (أهلاً وسهلاً شرفت يا بك) فخطوت اليها مادّاً كلتا يدي ودافت هي نحوي مادة يمناها وصافحتني بقوة مرددة كلمات الترحيب وبعد أن عرفتها بصاحبي جلست مواجهة لي .

كان ثوبها زهري اللون قصير الذيل والكمين مفتوح الجيب الى ما تحت الترقوتين ، وكانت هي في لبسها وزينتها وتصفيف شعرها آخذة بمقتضيات الكياسة والمودة الأوروبية أو — الموائمة — على رأي الكرملي .

كان أمد الزيارة نحو ساعتين وكان مدار الحديث بها على ما يأتي :

الترحيب والمجاملة وشيء من الدعابة المملوءة خفراً .

الثورة السورية .

الرابطة الأدبية .

النهضة المصرية .

التململ من الاستعمار الأوروبي .

فكان من ترحيبها ومجاملتها قولها ان مصر ترحب بي وان أدباءها حريصون على التعرف بي شخصياً ، وإن كانوا لا يجهلونني وانها سعيدة بلقائي وأطرت رسالتي شعراء الشام وقصيدتي في شوقي وقالت أكل هذا توحي اليك زيارة شوقي

لدمشق الى غير ذلك من أساليب المجاملة التي تحسن ايرادها النساء أكثر من الرجال .

وكان من دعابتها أن قدمت لي لفافة وأرادت أن تقدح عود ثقاب فبادرت اليه قبلها فقالت : دعني أقبسك النار ولا تخف هي نار باردة قلت أنا أحرق نفسي .

ثم سألتني عن كارثة دمشق فقالت بصوت مملوء حنواً وبكاء : (ان كان لا يؤلمك أن تقص علي كيف وقعت الواقعة فحدثني) قالت ذلك وهي مقبلة نحوي بوجهها تفرك كفها بكفها ويقطع مجرى نظرها عني غضها طرفها كأنما تريد أن تغيض عبرة .

ذاك القول وهذا المشهد بعثا في قلبي من الشجن والأسى والذكريات المحزنة ما فاضت له مقلتاي رغم أنفي .

قلت نعم يا سيدتي من الألم ما قد يفيد ، وأخذت أقص عليها ما شهدته بعيني في الواقعة فكانت تظهر ألماً وحزناً وحناناً واستياء وتصعد أنفاسها وتقول لا أقدر أن أتصور دمشق خربة محروقة تلك المدينة التي يتمثل بها جمال الشرق وجلاله ، وتبعث في نفس الرائي الحرمة والروعة .... وتمنت انفراج أزمة الثورة .

ثم أتت على ذكر الرابطة الأدبية وقرظتها وأسفت لتقوضها وتساءلت عما إذا كان بالإمكان إعادتها سيرتها الأولى وقالت : ما رأيت جمعية توثقت رابطة المحبة والولاء بين أعضائها كالرابطة الأدبية .

ثم تناولت حديث النهضة المصرية من وجهتيها السياسية والأدبية وأظهرت

إعجابها بها وتطرقت الى اليقظة الشرقيــة العامة وقالت انها موجة مازالت تعظم وتتعالى ، ولا بد من أن تفيض على جوانب الشرق فتعم أقطاره كافة وتململت من قسوة الاستعمار الغربي .

وهناك كان ميعاد السفر قد دنا فاستأذنتها بالانصراف فخرجت هي وأمهـا معنا لخارج باب الدار ولا أكتمك أنني برحت القاهرة وركبت القطـار ووصلت الى الاسكندرية وحديثها في مسمعي وشخصها ماثل أمام عيني وما أعلم أن آنسة استدعت احترامي لها وإعجابي بها كالآنسة مي .

خليل مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ديوان ابن عنين

تعليق على استدراك

عثر الأستاذ عبد العزيز الميمني على نسخة خطية من ديوان ابن عنين ؛ « فيها مقاطع وقصائد وبعض أخبار وروايات » خلت منها الطبعة التي أخرجها الرئيس السابق الأستاذ خليل مردم بك رحمه الله .

قال الأستاذ الميمني : « فصحت عزيمتي على تعليقها : ـ يريد هذه المقاطع والقصائد والأخبار والروايات ـ ولمّ شعثها ، وضبط شواردها ، وعرض فرائدها » .

وقد رأينا في بعض هذه القصائد التي نشرها الأستاذ عبد العزيز : استدراكاً وتعليقاً ، مما أحببنا أن نلفت نظره الدقيق اليها خدمة لهذا الديوان .

جاء في القصيدة التي مدح بها صلاح الدين : الصفحة الـ ٥٨٩ ، المجلد ٣٤ من مجلة المجمع :

يا طالبي العارفات دونكـــمو ندى مليك الزمان فاعترفوا

(فاعترفوا) بالعين المهملة ، وهي وإن يكن لها وجه ، فقد تكون (اغترفوا) بالغين المعجمة أوجه .

وبعد هذا :

فما الخضم الطامي غواربه ولولا الغيوث الهواطل النطُفُ

الواو في (ولولا) زائدة خطأ في النسخ أو الطبع .

وبعده :

عليكمُ منه بابن مكرمة تنـدح أمواله وتغترفُ

وقد تكون (تنداح) هنا أولى من تندح [١] . ونغترف هنا تؤكد (فاغترفوا) التي سبق أن أشرنا اليها .

وبعد هذا البيت :

ما دونهـا ذائد ولا حرسٌ الى حَراها الآمال تختلفُ

وفسَّر الناسخ أو راوي هذه القصيدة ، لفظة (حراها) بـ (نواحيهـا) . والنواحي من معاني (الحرا) كما ان من معانيها (الساحة) [٢] والساحة هنا أدق معنى من الناحية) .

كما أن (الوَكَف) في قوله :

أبقى على الدهر من حوداثه محوطة لا ينالهـا الوَكَفُ

فسره بـ (العيب) وهو من معانيه ، كما ان من معانيه أيضاً الشدة ، وقد تكون (الشدة) هنا أطبق في سياق المعنى من (العيب) .

ويلي ذلك قصيدة في مدح صلاح الدين أيضاً مطلعها :

حلومك أرسى من شمام وأرسخ ومجدك أعلى من (جبال) وأشمخ

وعلى ما في هذا البيت من ضعف تزيده هذه (الحلوم) ، جمعاً لـ (حلم) التي تصدرت في رأس هذا المطلع . مع هذا ، لا نظن أن ابن عنين يقول : مجدك أعلى من جبال ، بفضّل مجد صلاح الدين على (جبال) وهي نكرة لا يصح معها تفضيل . فأي جبال هذه التي مجد صلاح الدين أعلى منها ؟

وقد يكون أصل الكلمة جبل معروف ، يفاضل بينه وبين مجد صلاح الدين ، كما فاضل في صدر البيت بين حلمه أو (حلومه) وبين (شمام) وهو جبـل لباهلة معروف .

---

(١) يقال : ندح الشيءَ ، أي وسّعه . واندداح الشيءُ انبسط متسعاً .
(٢) تقول : نزلت بحراه : أي في ساحته . وهي الحراة والحرا .

كأن تكون تِمار أو فغار[1] أو مثلها للموازنة مع شمام .

وبعد هـذا

بقيت صلاح الدين فينا مخلداً فانك مهما دمت فالردع مفرخ

و (أفراخ الردع) تحتاج في تفسيرها الى تأويل بعيد ، أقرب منه أن تكون (فالروع مفرخ) وأفراخ الروع وتفريخه معروف مشهور .

وقد يكون ابدال (الواو) بـ (الدال) من غلط النسخ أو الطبع .

ثم

إذا الحرب حثتها الكماة كأنها طهاة قدير في الشتاء وُطبّخ

وأولى من حثّتها حشتها بالشين .

« وحشُ النار : جمع اليها ما تفرق من الحطب ، وقيل أوقدها ، وحشُ الحرب اذا أسعرها قال الشاعر :

تالله لولا أن تحش الطُبّخ بي في الجحيم حين لا مُستصرَخ

والطُبّخ : « الملائكة الموكّلون بالعذاب . واحدها طابخ » وقد تكون (كأنهم) أفضل من (كأنها) .

وفي الصفحة الـ ٥٣٢

ضبطت العَطف بالضم . وهي أيضاً من غلط الطبع .

وفي الصفحة الـ ٥٢٩ يصف روضة فيقول :

---

(١) تِمار (بالعين المهملة) ، وقيل تِغار (بالغين المعجمة) والأول أصح . جبل عالٍ . قال لبيد :

عشت دهراً ولا يعيش مع الأيام الا يرمرم وتعارُ

والفَعار : جبل أيضاً . قال أبو صخر الهذلي :

يجل فَعارة لم يك السيل قبله اضر بها فيها حباب الثعالب

في روضة بالنيربين أريضـة موشية ببدائع الإبداعِ
مخاضة (كذا) وشائع بردها كف الخضيب وأي كف صناعِ

وقد وضع الأستاذ بعد كلمة (مخاضة) كذا ارتياباً بصحتها . وقد أصاب ، فالكلمة مغلوطة ، والبيت مكسور ، ولو رددنا (مخاضة) الى ما يجب أن تكون أي (مخضلة) فتصح اللفظة ولا يستقيم البيت إلا اذا أضيف اليه (نسجت) أو (حاكت) أو ما هو بوزنها وبمعناها .. فيصبح البيت :

مخضلة نسجت وشائع بردها كفُّ الخضيب وأي كف صناع

يبقى كف الخضيب على الإضافة والمعروف أنه الكف الخضيب على النعت . وهو النجم شبه به . وكأن ابن عنين جاء به على الإضافة توسعاً منه وتجوزا .

والبيت الثاني ورد في طبعة الأستاذ المردمي رحمه الله هكذا :

في روضة نسجت وشائع بردها كف السحاب وأي كف صناع

وهي رواية أفضل من الرواية المستدركة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الصفحة الـ ٥٩٥

لم أكُ في ظني مسيئاً به بل أرهُ في الفعل بي محسنا

يجزم أره . وعندئذ يجب عطفها على (أك) في صدر البيت فيستحيل المعنى الى ضده فلعل الأصل :

(بل كنت في الفعل به محسنا) أو (في الظن) أو (في ظني) أو
(إن أك في ظني مسيئاً به فانه في الفعل بي محسنا)
أو ما أشبه ذلك .

وفي الصفحة الـ ٥٩٨

فالملك عين خاطبته كأن بها رمداً فكان لما عراها أثمدا

والبيت لا يستقيم وزنه مع (كأن بها) ولا مع (بأن بها) التي أوردها في الحاشية ·
ويستقيم الوزن لو قيل :

فالمالك عين خاطبته كأنها رمدا فكان لما عراها أثمدا

أي (رمداء) مؤنث (أرمد) بحذف الهمزة حذفاً جائزاً للضرورة ·

وفي الصفحة الـ ٦٠٠

بالكؤوس الملأى حشا اليا لا تجريا (كذا) بالمدام لا عليا

والبيت بصورته هذه مضطرب الوزن مما حمل الأستاذ على وضع (كذا) بعد (لا تجريا) · وهو الى اضطراب وزنه ، قلق المعنى ، بل هو غير مفهوم ·
وقد يقرب معناه ، ويستقيم وزنه اذا قيل :

واجريا بالمدام لي لا عليا

على نظر فيه ···

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الصفحة الـ ٦٠١

يا أيها المالك المولى الكريم ومن يستحق الملك والدنيا اذا وهبا

والبيت غير صحيح الوزن ، وغريب المعنى ، ان لم نقل لا معنى له · وصوابه :

يستحقر الملك والدنيا اذا وهبا

وفي الصفحة نفسها :

وإني لأعجب من زيزب به بحر (؟) كيف لا يغرق
فمن تحته بحر (؟) واحد ومن فوقه أبحر تدفق
وأعجب من ذا وذا أنه بلامسه وهو لا يرزق

والبيتان الأولان غير موزونين ، لذلك وضع الأستاذ علامة استفهام بعد كلمة بحر · في البيتين · وسياق الكلام يقتضي لفظة بجر وهي علة البيتين ،

ولا يستقيم الوزن الا اذا ضبطت (تَجَر) بالتحريك ٠ وهو غير مسموع وكلمة (يرزق) في البيت الثالث يجب أن تكون (يورق) ٠

قال المعلق في الحاشية :

هذه الأبيات معروفة للخلوقي الشاعر في طاهر بن الحسين :

والرواية :

عجبت لحراقة ابن الحسين كيف تعوم ولا تغرق

الى آخر الأبيات :

والذي نرويه :

عجبت لحراقة ابن الحسين — لا غرقت — كيف لا تغرق

ولعل هذه الرواية أشعر من تلك ٠

هذا ما رأيت أن ألفت اليه نظر الأستاذ الميمني ٠ وتبقى الموازنة بين الروايتين ، في النسخة المطبوعة ، وفي النسخة المخطوطة التي استند المعلق عليها ٠

ورأيه بعد ، الموفق الى الصواب ٠

عارف النكدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتاوى لغويّة

- ١ -

ما كانت دور القضاء والفتوى لدى سلفنا الصالح للحياة مقتصرة على أحكام الفقه ، فكثيراً ما استفتي الأئمة من القرّاء والمحدثين والفقهاء في اللغة والأدب وعلوم العربية ، وكان عبد الله بن عباس حبر الأمة يحب الشعر ويحفظه ويرويه ، ويستعين بشعر الجاهلية منه لتفسير غريب القرآن ، وكان محمد بن ادريس الإمام الشافعي يحفظ شعر هُذيل وغيرها من قبائل العرب ، ويفتي الناس في الدين واللغة والشعر الذي يجيد قوله ، وكان عبد الملك بن قريب الأصمعي ، مرجع الناس في لغة العرب وأشعارهم وأخبارهم يحضر في البصرة مجالس حمّاد بن سلمة محدّث عصره ويأخذ عنه الحديث وأسرار العربية .

ولما ذكرناه على سبيل المثال يسرنا أن نرى دار الفتوى الشامية لا تقتصر على الفقه في فتاويها ، وقد سئل مفتي الإقليم الشماليّ الفقيه الحكيم (الدكتور) محمد أبو اليسر عابدين في رسالة إليه أسئلة في الفقه ، وبينها سؤال لغوي عن اسم (سعاد) أهو مذكر أم مؤنث ؟ فأجاب السائلَ بما يلي :

أما الجواب على اسم (سعاد) أهو لمذكر أم لمؤنث ، فقد قال المجدُ اللغويّ في القاموس : وسمّوا سعيداً ومسعوداً ومسعدة بالفتح ومساعداً وسعدون وسعدان وأسعد وسعوداً بالضم . وللنساء سعاد وسعدى بضمهما ، وسعدة وسعيدة بالفتح ، وسعيدة بالضم ومثله في لسان العرب .

وقد اشتهرت قصيدة (بانت سعاد) لسيدنا كعب بن زهير ومراده بها مؤنث قطعاً . مع ما روي أن بُندار الاصبهاني كان يحفظ تسعمائة قصيدة كل

قصيدة منها بانت سعاد ، ذكر السيوطي منها عشرة ، ولم ينقل في واحدة مما قالته العرب اسناد الفعل للفظ سعاد إلاّ مؤنثاً .

وليس في الصحابة من الرجال من اسمه سعاد أصلاً ، وفيهم من النساء اثنتان هما سعاد بنت رافع بن أبي عمر بن عائذ بن ثعلبة الأنصارية تكنى أم سلمة زوجة أسلم من حريش فولدت له سلمة . والثانية سعاد بنت سلمة بن زهير ابن ثعلبة بن عبيد الأنصارية زوجة حبسة بن صخر بن أمية بن خنساء بن عبيد .

ولا بأس لتقرير قاعدة التذكير والتأنيث بذكر حكاية لطيفة ذكرها النسفي المفسر في تفسيره وهي أن أبا حنيفة سأل قتادة عن صفة نملة سليمان في قوله تعالى : (وقالت نملة) أهي مذكر أم مؤنث ؟ فلم يجبه ، فقال له أبو حنيفة : هي مؤنث لأنها تصلح للمذكر والمؤنث ، فلا بد من فارق كهو وهي ، ولو كانت مذكراً لقيل قال نملة .

وهذه القصة بظاهرها طريفة يقبلها من يأخذها على علاتها ، ولكن اذا طبقناها على ما نذكره من قاعدة التذكير والتأنيث يعلم بوضعها ، وعادة المشغوفين بعالم أو صحابي أن يضعوا على لسانه قصصاً تبين مدحه وفضله ، أو يضعوا أحاديث مكذوبة يقصدون بها رفعة قدره ومنزلته وهو في غنى عنها .

وقد ذكرت في كتابي « أغاليط المؤرخين » كثيراً من هذه القصص الموضوعة التي لا شك في كذبها أمثال هذه الحكاية ونبهت على عدم صحتها ، ولم أتتبع فيه القصص المشكوك في صحتها لأنها أكثر من أن تحصر .

أما القاعدة في التذكير فهو (ان الأصل في الأسماء التذكير ، والتأنيث فرع عنه ، ولذا استغنى الاسم المذكر عن علامة تدل عليه واحتاج الفرع الى العلامة) .

أما العلامات فهي التاء والألف مقصورةً أو ممدودةً ، وأكثرها استعمالاً

هي التاء ، ولم يقولوا الهاء لأن التاء أصل عند البصريين لتشمل تاء الفعل الساكنة ، قال ابن مالك :

علامة التأنيث تاء أو ألف وفي أسام قدروا التا كالكتف

فاذا سمي بالاسم مؤنث حقيقي أنث ، ولو كان اللفظ مذكراً كما لو سمينا امرأة بخالد أو أحمد ، نقول قالت خالد أو أحمد ، ونمنعهما من الصرف للعلمية والتأنيث ؛ واذا سمي به مذكراً استغنى عنها ولو كان لفظه مؤنثاً ، حيث يقال : قال طلحة وأسامة ، ولا يقال قالت طلحة وأسامة .

وما لا يتميز مذكره من مؤنثه : فان كان خالياً من التاء يجب تذكيره وان أريد به مؤنث كبرغوث تغليباً لجانب المذكر ، وان كان فيه تاء يجب تأنيث فعله وان أريد به مذكر بلا خلاف ترجيحاً لظاهر اللفظ حيث يقال : قالت نملة .

وكذا يجب تأنيث ما يفرق بين جمعه ومفرده بالتاء كثمرة وبقرة ، فيقال هذه ثمرة وبقرة ولا يقال هذا ثمرة وبقرة تغليباً لجانب اللفظ أيضاً .

وعليه فمتى لم يعرف حال المعنى في الواقع يراعى اللفظ ، فعرف ان الاستدلال على أن نملة سليمان كانت أنثى بقوله تعالى قالت نملة وهم لعدم تميزها ، وكل ذلك في الحقيقي .

أما المجازي فذو التاء مؤنث جوازاً كبحرة وسجادة وحصيرة ، والمجرد مذكر وجوباً كحائط وباب وجدار ، الا أن يسمع تأنيثه كأرض وشمس وسماء .

ومن هنا يعلم عدم صحة الحكاية المارة لأنها ما كانت لتخفى هذه القاعدة على قتادة ويعرفها أمثالنا حتى يسكت عنها المسئول ، وما كانت لتخفى على أبي حنيفة حتى يجيبه عنها بجواب خطأ مغلوط ، وكلا الإمامين خالط العرب جنباً الى جنب واشتهرت علومهم في الشرق والغرب ؛ ومن كتاب هذا العصر

وخطبائهم من يتفكهون بأقاصيص المؤرخين المكذوبة ليتحفوا الناس بتلك الملح، وفيها ما فيها من الدسائس التي قصدها الواضع، دون أن يتحروا مصدرها ورواتها.

أما سؤالكم عن واقعة هل تجمع على وقائع أم وقوعات وأن أيها أصح لغة؟

فأقول: قال في لسان العرب «الواقعة الداهية والواقعة النازلة من صروف الدهر» والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة.

والواقعة والوقيعة الحرب والقتال، وقيل المعركة والجمع الوقائع، ووقائع العرب أيام حروبها.

والوقائع المناقع، وعليه قول الفرزدق:

(رشيف الغُرَيريَّات ماء الوقائعِ) (١)

والوقيع مناقع الماء، والوقيعة مكان صلب يمسك الماء، والوقيعة نقرة في متن حجر في سهل أو جبل يستنقع فيها الماء وهي تصغر وتعظم حتى تجاوز حد الوقيعة فتكون وقيطاً، قال ابن أحمر:

الزاجر العيس في الاملبس أعينها مثل الوقائع في انصافها السمل

ومما ذكر يعلم أن علماء اللغة استعملوا لفظ الوقائع جمعاً، ولا مناسبة لجمع الواقعة بوقوعات لأن وقوعاً مصدر ووقوعات جمع له إن صح جمع المصدر كنصرات وضربات، وفيما ذكر كفاية والله أعلم.

الدكتور أبو اليسر عابدين
المفتي العام للاقليم الشمالي

---

(١) الغُرَيْر فحل من الابل، وهو ترخيم أغرّ، كالوك في أحد حُبيد، والإبلُ الغُرَيريَّة منسوبة اليه.

- ٢ -

أَمَطار أم مَطير
ومَسار أم مَسير ؟

جاءني من صديق أديب هذا السؤال اللغوي ، ونصه : «ما هو المصدر الميمي أو اسم المكان من العنوان ، وما هي القاعدة في الاشتقاق من الأفعال المعتلة العين ، فقد كثر الجدال حول ذلك بيني وبين إخوان لي من الكتّاب يزعمون أنه لا يجوز أن نطلق (المطار) Aérodrome على مكان الطيران أو مينائه الجوّية (١) ، لأنه مصدر كالمطاف والمعاش ؛ وهل نقول لمحرك الرصاصة المنطلقة من البندقية الى الهدف : مَسار أم مَسير ؟

وأجبته بالجواب التالي شاكراً له اهتمامه بلغته العربية ، وأي عروبةٍ لمن يجهلها ، وكيف يخدم أمته من لا يتقن لغته ؟ وقد أصبحنا في عصر استعجم - إلا من عصم الله - عَربُهُ ، واستعربَ عجمه ، ثم رغب السائل الى لجنة مجلة المجمع العلمي العربيّ بأن تفتح في المجلة باباً خاصاً للاستفتاء اللغويّ :
إن جوابك هذا في حاجة الى مزيد من البيان : فان (المطار والمطير ، والمسار والمسير) مشتقة من الأفعال المعتلة العين بالياء ، وهي التي يجيء منها مَفْعَل ومَفعِل بالفتح والكسر للمصادر الميمية وأسماء المكان والزمان ، فيقال : مطار ومطير ؛

وأما الأفعال المعتلّة العين بالواو كمعاد ومطاف ومدار ومزار ، فلا يجيء منها شيء من المصادر والأسماء إلاّ على (مَفْعَل) بفتح العين ، فلا يقال بكسرها :

(١) هي بالفرنسية Port aérien وبالانكليزية Air - port .

مَعِيد ومَطِيف ومَدِير ومَسِير ؛ ونزيد في إيضاح ذلك وتوكيده بما بيّنه أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية في كتاب الأفعال [١] في بحث المصادر الميمية قائلاً : « ومنها أسماء مبنية بالزيادة تشبه المصادر في وزنها ، وتخالفها في بعض حركاتها للفصل بين الاسم والمصدر ؛ وتكلّم منها على الأفعال المعتلة بقسميها : المعتلّة بالياء ، والمعتلّة بالواو بقوله : وأمّا المعتلة بالياء في عين الفعل : فإنما يُنتهى في مصادرها والأسماء منها الى الروايات ، لأنهم قالوا : المَخيض والمبيت والمغيب والمزيد وهن مصادر ، وقالوا : المَغيض مَغيض الماء ، والمَخيض في الأسماء والمصادر ، وقالوا : (المَطار) والمَنال في الأسماء والمصادر . قلتُ : فيكون (المطار) على قوله هذا اسم مكان ومصدراً ميميّاً بمعنى الطيران ؛ ثم قال مؤيّداً ذلك :

ومن العلماء من يجيز الكسر والفتح فيها (أي المعتلّة بالياء) مصادرَ كُنّ أو أسماء فيقول : المَال والمَميل والمَعاب والمَغيب ، وفي أشباهها كذلك ؛ قلتُ : أي مثل (المَطار والمَطير) فلك أن تجعل كلاً منهما اسم مكان وزمان أو مصدراً ؛ وتنقلب الواو والياء ألفاً في مصادر ذوات الواو والياء كما انقلبت في أفعالها كالمَقام والمَجال والمَطار والمَنال ، والمُقام والمُراح في الرّباعي ، وكان الأصل في مَقام : (مَقْوَم) ، فألقوا حركة الواو على ما قبلها ، ثم انقلبت الواو ألفاً للفتحة التي قبلها : لأن الألف أخف من الواو ، قلت : وهذا في المعتل بالواو ، ومثّل للمعتلّ بالياء بـ (المطار) وكان الأصل فيه (مَطْيَر) ، فألقوا حركة الياء على الطاء ، فصار (مَطَيْر) ، ثم انقلبت الياء ألفاً للفتحة التي قبلها لأن الألف أخف من الياء .

(١) مطبعة مصر ١٩٥٢ (ص ٤ و ٥) .

واليك ما ذكره صاحب المصباح المنير[١] وهو خلاصة الباب ، وفصل الخطاب قال : وإن كان معتل العين بالياء ، فالمصدر مفتوحٌ ، والاسم مكسور كالصحيح نحو : مالَ مَمالاً ، وهذا مَميله ، هذا هو الأكثر ؛ وقد يوضع كل واحد موضع الآخر نحو المَعاش والمَعيش ، والمَسار والمَسير ؛ قال ابن السكيت : ولو فُتحا جميعاً في الاسم والمصدر ، أو كُسرا معاً فيهما لجاز لقول العرب : المَعاش والمَعيش ، يريدون بكلٍّ واحدٍ المصدرَ والاسم ، وكذلك المَعابُ والمَعيبُ قال الشاعر :

أنا الرجلُ الذي قد عِبتموني وما فيكم لعيّابٍ مَعابُ

وقال :

أزمانَ قومي والجماعة كالذي منعَ الرِّحالةَ أن تَميلَ مَمالا

أي أن تميل ميلاً ، والرِّحالة : الرَّحلُ والسرج أيضاً . انتهى .

وجواب سؤالك عن (المطار) في قول أبي يوسف يعقوب بن السكيت الذي قرأته الآن ، فان كلاً من (المَعاش والمَعيش ، والمَعاب والمَعيب ، والمَمال والمَميل) يجوز أن تجعله مصدراً واسماً ؛ كذلك الأمر في (المَسار والمَسير) ، فلك أن تجعل (المَسار) اسم مكان وتطلقه مثلاً على تحرك الرصاصة Trajectoire ، وهو الخطّ الذي ترسمه القذيفة أو الرصاصة بين البندقية والهدف ، أو على مَسار الكهرباء électrode بين مَهبطها ومَصعدها ، ثم يجعل (المسير) مصدراً بمعنى السير ، وهو أقوم ، والله أعلم .

عز الدين التنوخي

---

(١) المطبعة الأميرية ١٩٢٨ (ص ٦٦٢) .

تعليق على مقـال
الساميّون ومهدهم

قرأت مقال الأستاذ غريغوريوس بولس بهنام المعنون بالعلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية في الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي والذي يذكر الساميين ومهدهم استطراداً ، وقرأت تذييل لجنة المجلة على قول الأستاذ أن الباحثين ليسوا متفقين على مهد الساميين الذين انتشروا في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق ووادي النيل ، وأنا أصوب تذييل اللجنة القائل ان مهد هذه الأرومات هو جزيرة العرب ومنها انتشرت الى الأقطار المجاورة لها شمالاً وجنوباً لأنه مستند الى جمهرة كثيرة من الباحثين ، وأزيد عليه ان من الباحثين الذين يقولون ان الجزيرة العربية ليست مهد الساميين من يجعل هذا القول بالنسبة الى النواة الأولى ، ويقول ان هذه النواة جاءت الى جزيرة العرب ونمت فيها ثم أخذت قبائلها تنساح منها الى الأقطار المجاورة أي ان هذا الفريق يلتقي مع الفريق القائل ان جزيرة العرب هي مهد الساميين على اعتبار أنها منطلق انتشارهم الى خارجها .

وألحظ من جهة أخرى أن بعض الباحثين الذين يتحفظون في الموافقة على هذا الرأي يتجاهلون أو يهملون دليلاً عرف منذ أواسط القرن الأول قبل الميلاد معرفة يقينية لا تحتمل مراء واستمر يتوالى حقبة بعد حقبة الى يومنا هذا وهو انسياح قبائل جزيرة العرب في دور العروبة الصريحة من جنوبها وشمالها وسواحلها الى الأقطار المجاورة وغمرها قبل الإسلام ، بلاد الشام والعراق ريفها وباديتهـا واقامتها الدول والممالك وتسجيلها نشاطاً عظيماً ثم خروجها منذ الفتح الإسلامي

وفيضانها على هذه البلاد ووادي النيل معاً حقبة بعد حقبة الى يومنا هذا بحيث يجوز القول بشيء من الجزم ان هذا قد كان امتداداً لما كان يجري قبل العروبة الصحيحة بسبب الطبيعة الجغرافية والاجتماعية لجزيرة العرب ومؤيداً لقول القائلين ان جزيرة العرب هي منطلق انتشار الأرومات التي سميت بالسامية والتي كانت نطرأ على الهلال الخصيب ووادي النيل منذ أقدم عصور التاريخ ، وان هذا لم يبق موضوعاً تاريخياً قديماً مضى وانقضى وغدا محل تخمين وظن ونفي واثبات وإعادة وإبداء ، ومها كان هناك من بعض المباينات فعلماء الساميات متفقون على التشارك العميق بين اللغات السامية والأفكار السامية والتقاليد السامية ؟ ولا يمكن أن يكون هذا إلا في حالة التكون في مكان واحد والانطلاق من مكان واحد ، ويلحظ ان بين اللغة العربية الفصحى وبين اللغات العبرانية والسريانية والبابلية والآشورية والكنعانية والمصرية والحبشية خارج الجزيرة ثم بينها وبين اللغات المعنية والسبئية والقتبانية والحضرمونية داخل جزيرة العرب تشاركاً عميقاً في المفردات الأصلية والقواعد ؛ ولا يمكن أن يكون هذا كذلك إلا في حالة الانبثاق من نواة واحدة ومكان واحد مها كان هناك أيضاً من مباينات ، ولا يتعارض هذا مع احتمال أن تكون النواة الأولى قد جاءت الى جزيرة العرب من أنحاء أخرى آسيوية أو افريقية ، بل ولا يمنع هذا من أن تكون هذه النواة في أصلها القديم ليست عنصراً واحداً وليست من ناحية واحدة .

هذا ؛ ونستطرد الى القول ان التسمية السامية سواء أكانت حديثة لا ترقى الى أكثر من مئة وخمسين سنة ، أم كما يقول صاحب المقال ان السريان استعملوها منذ القرن الثاني عشر بعد الميلاد ، لا سند لها من علم صحيح ولا آثار قديمة ثابتة ؛ وانما هي مستمدة من انساب سفر التكوين الذي اختلف في تاريخ

كتابته والذي لا يرقى على كل حال الى أبعد من القرن الثاني عشر قبل الميلاد ؛ وهذه الانساب تتحمل كثيراً من التوقف والكلام الذي يجعل اعتبارها سنداً صحيحاً للتسمية غير وارد أصلاً في مجال العلم ، وأولى أن يكون بدلها اسم «الجنس العربي» فان جزيرة العرب ، بقطع النظر عما كانت تعنيه كلمة العرب ، عرفت بهذا الاسم قبل الفين وخمسمائة سنة على الأقل ، والأمة العربية عرفت بهذا الاسم كذلك في هذا الظرف أو قبله على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة ، فهذا القدم في التسمية للموطن الذي كان منطلق انتشار الأرومات (السامية) في خارج جزيرة العرب ، وللأمة التي تمثل التشارك في اللغة والخصائص بين هذه الأرومات ، بل وتمثل صفة الأم لأنها ظلت في هذا الموطن يسوغ تسمية هذه الأرومات بالجنس العربي أكثر مما تسوغه أنساب سفر التكوين كما هو المتبادر ، وقد قال هذا كثيرون من باحثي العرب وجهابذتهم مثل الدكتور جواد علي مؤلف كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ، وعطية الابراشي ورفقاؤه مؤلفو كتاب الأساس للغات والأمم السامية ، والرفاعي ورفقاؤه مؤلفو كتاب معالم الحضارات في الشرق والغرب الخ [1] .

(دمشق) محمد عزة دروزه

---

(١) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها و ج ٢ ص ٢٨٧ وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون والأساس للأمم واللغات السامية لعطية الابراشي ورفقائه ، ومحاضرات في تاريخ العرب لصالح العلي ومقدمة في الحضارات القديمة لطه باقر والقرون القديمة لبريستيد مثلاً .

المصادر

التي اعتمدنا عليها

١ — ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ	تاريخ دمشق
٢ — ابو زرعة المتوفى سنة ٢٨٠ هـ	تاريخ دمشق (مخطوط)
٣ — المسعودي المتوفى ٣٤٦	مروج الذهب
٤ — ابن جبير القرن السادس	الرحلة
٥ — ابن خلكان المتوفى ٦٨١	وفيات الأعيان
٦ — الهروي المتوفى ٦١١	الزيارات
٧ — عمر كحالة	أعلام النساء
٨ — ابن عبد الهادي المتوفى ٩٠٩ وطلس	المساجد وذيله
٩ — البلاذري المتوفى ٢٧٩	فتوح البلدان
١٠ — ابن حجر المتوفى ٨٥٢	الإصابة في معرفة الصحابة
١١ — أمين البصروي (القرن العاشر)	تحفة الأنام في فضائل الشام (مخطوط)
١٢ — ابن الأثير المتوفى ٦٣٠	أسد الغابة في معرفة الصحابة
١٣ — ابن بطوطة (القرن الثامن)	الرحلة
١٤ — عز الدين بن شداد المتوفى ٦٨٤	الأعلاق الخطيرة
١٥ — الحسن المهلبي المتوفى ٣٨٠ هـ	المسالك والممالك (مخطوط)
١٦ — العمري المتوفى ٧٤٩	مسالك الأبصار

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٧ — ابن كثير المتوفى ٧٧٤	البداية والنهاية
١٨ — أبو شامة المتوفى ٦٦٥	الروضتين في أخبار الدولتين النورية والأيوبية ، وذيله
١٩ — ابن تغري بردي المتوفى ٨٧٤	النجوم الزاهرة
٢٠ — ابن القلانسي (القرن السادس)	تاريخ دمشق
٢١ — ابن العماد المتوفى ١٠٨٩	شذرات الذهب
٢٢ — ابن طولون المتوفى ٩٥٣	الشمعة المضيئة في تاريخ القلعة الدمشقية
٢٣ — النعيمي المتوفى ٩٥٣ ه	الدارس في تاريخ المدارس
٢٤ — الذهبي المتوفى ٧٤٨	تاريخ الإسلام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصحى
في اليمن والحجاز

لقد صان القرآن الكريم والحديث الشريف اللغة العربية وحفظاها من عبث العابثين ، وارتقيا بأساليبها الى القمة من الفصاحة والبيان ، ولولا ذلك لم تخلد وقد درّج أقرانها ، ولم تأنف ، وقد استخذى سلطانها .

غير أنه فشت في كل قطر عامية باعدت بينها وبين الأصل ، حتى لكأنّا نتعلم لغة ثانية لا نستعملها دون لغتنا الأصلية ، وتباعد ما بينها حتى كدنا نحتاج في بعض ذلك الى ترجمان ، كما قال القالي عن الأندلس إذ رأى ابتعاد اللسان ، وقد بلغ القيروان ، وان الأمر ليسير وقد انتشر العلم إذا صدقت النيـة ، وان الفصحى لمن أولى مقومات الوحدة ، وقد تبدت بأكورتها في الجمهورية العربية المتحدة التي نرجو أن تكون جامعة لشمل العرب والمسلمين .

وانها للغة القرآن الكريم ولسان الدين الحنيف ، وان الأعاجم من المسلمين ليتمنون أن تكون لسانهم ، واذا حادثونا فانما يحادثوننا بهـا ، واذا ناطقونا فانما يناطقوننا بمحاسنها ، قران بينها وبين الدين متين .

ولقد كان العرب أمة أمية وكانوا أولي اللسن والفصاحة قديمًا ، ولا تزال منهم في الأزمنة المتأخرة طائفة تفصح لنا عن ذلك الرأي وتثبته أيما إثبات :

لقد قرأت في ذيل الخصائص لابن جني (طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ٢/٥) أن صاحب القاموس ذكر في (عكد) أن باليمن قرب زَبيدَ جبلاً يسمى عَكَاداً (وزان سحاب) أهله باقون على اللغة الفصيحة ، قال محققه الأستاذ محمد علي النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف : ويقول

السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس انهم لا يزالون على ذلك الى زمنه ، وانهم لا يأذنون للغريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفاً على لسانهم ، وكانت وفاة الزبيدي سنة ١٢٠٥ هـ وله ترجمة واسعة في تاريخ الجبرتي ، وقال ياقوت في معجم البلدان في ترجمة (عُكُوتان) : وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب ، وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية الى اليوم لم تتغير لغتهم ، إذ لم يختلطوا بغيرهم في مناكحة ، وهم أهل قرار لا يظعنون ولا يخرجون .

ولقد سألت القاضي العَمْري وكيل خارجية اليمن ، لما قدم سمو الأمير البدر ولي عهدها قبيل محادثات الاتحاد بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة ، إن كان أهل عكاد لا يزالون على الفصحى وقد مضى على موت الزبيدي (١٧٣) عام ، فقال : انه استولى السعوديون في حربهم مع اليمن عليها منذ أكثر من عشرين عاماً ، وانه كان يعرف عنها قبل ذلك أن جل كلام أهلها (٩٠٪ منه) فصيح معرب ، وان غريباً دخل وعلى عينيه نظارتان فقال بعض أهلها لصاحبه على البداهة وهو لا يعرف ما تسميان : انظر ، على عينيه نظارتان . وذكر لنا في اليمن راويتين كحماد الراوية يحفظان عشرات الألوف من أشعار القبائل بهنواتها ، مات أحدهما وبقي صاحبه ، وكان الدكتور شكري فيصل حاضراً ذلك المجلس ، فرغبنا اليه جميعاً أن يسجل محفوظه فانه إن مات مات علمه معه ، فوعدنا يبذل الجهد في هذا السبيل .

ونقل لي الدكتور أديب الحبال عن الدكتور أحمد الطباع وكانا طبيبين في الحجاز : ان اعرابياً من بني فهم قرب الطائف قدم يشكو البواسير ، فقال : إني أنزف دماً قَرَاحاً ، قال : وما القراح ؟ قال : الذي لا خالطة به ، قال الطبيب : فكأنه المعجم في التعبير ، وليس في الباسور قبح .

ولقد قال لي الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي : إن سائقي السيارات في بغداد لا يزال في لسانهم من بعض الفصحى ، فهم يقولون للمرأة : تروحين ،

والجمع : يرحن ، وضم تاء المتكلم فاش في شمالي العراق ، وأعراب باديتها وبادية نجد لا يزال ما يتعلق لديهم بالبادية فصيحاً معرباً ، وان أخذ غير ذلك من التركية والفارسية ، فهم يقولون : الجرة تَدِي (وفي المصباح : وَدَى الشيء إذا سال) ، وكثير من غريب ليس لديهم بغريب .

وفي كتاب له صدر مؤخراً اسمه (صور وخواطر) مقال بعنوان (الاعرابي والشعر) كان نشر عام ١٩٣٩ ، فيه : ان قبيلة يقال لها (السوالم) كانت تسكن دمشق ففارقتها يوم قتل الوليد بن يزيد الخليفة الأموي ، واكتشف أمرها في بعض رمال (عالج) عبد العزيز بن سعود الملك السعودي السابق رحمه الله ، وان فيها العربية المبرأة من العجمة ، والبلاغة التي ما بعدها بلاغة ، وانه قدم شيخها الى القنصلية السعودية آنذاك فذهب اليه صاحب المقال فاذا لسان مبين ولغة معربة وأجوبة في اللغة والنحو تذكر بما كان بين الأصمعي ومن شاكله من الأعراب ، وانه كان يروي من الشعر ما قالته العرب لا يخرم منه حرفاً ، دون المحدثين وقد فشا فيما بلغه اللحن في الأمصار وعمت العجمة فلا يرضون بروايته إذ أفسد ديوان العرب وجاء بما ينكر في القول ، وان الأستاذ الطنطاوي ذكر له أبياتاً لأبي تمام وغيره من المحدثين والمعاصرين ، فاستحسن بعضاً وانتقد بعضاً ، وأيد ذلك بالحكم من الدليل ، وانه جرى الحديث بعد ذلك فيمن يتلقى العربية اليوم على أهل باريس عاصمة الفرنسيين .

ذلك دليل على امكان العودة الى الفصحى باعرابها وجميع ما فيها إذا عزم الأمر ، أتينا به إبلاغاً للنصح ، فلقد نطق أكراد دمشق بالكردية حيناً من الدهر ولما يعرفها منهم الكثير ، والله المستعان .

محمد وحيد الجباوي

تصوير المخطوطات

تأسس في دار الكتب الوطنية (الظاهرية) شعبة لتصوير المخطوطات مزودة بأحدث الأجهزة وهي مستعدة لتلبية جميع ما يطلب اليها لتصوير المخطوطات الموجودة في دار الكتب المذكورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما ينشر في المجلة

إن جميع الأبحاث والمصطلحات التي تنشر في هـذه المجلة هي على عهـدة كاتبيها ومسؤوليتهم .